البلاغة القرآنية
في آيات وصف النبي بالعبودية

د/رمضان محمد محمود حسان
أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم اللغة العربية
وآدابها
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين ــ
بالقاهرة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي نزل القرآن رحمة وهداية للعالمين ،وأخرس ببلاغته وبديع نظمه البلغاء والمتشدقين ،والصلاة والسلام على من اصطفاه ربه وفضله على سائر العالمين، وأعلى قدره وشرفه بوصف العبودية التي ما وصف بها على إطلاقها إلا سيد المرسلين وعلى اله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أما بعد

فقد تعددت المقامات الدالة على اصطفاء الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في مترلته ومكانته وفي خصائصه وفضائله، ومن أعلى تلك المقامات وأعظمها وأرفعها مقام العبودية لله عز وجل ،ومما يدل على عظم ذلك المقام وكون النبي صلى الله عليه وسلم في أعلى مراتبه، وصف الله له بالعبودية في مواطن مهمة تدل على مدى مكانته ومترلته عند الله من جانب، وعلى مدى خضوعه وإخلاصه وصلة بربه حتى وصل إلى أعلى مراتب العبادة واستحق أن يوصف بوصف العبودية المطلقة من جانب آخر، ومن هذه المواطن موطن التحدي والمعجزة قال تعالى:(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا......)(١) وفي التشريف بالإسراء قال تعالى:(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا......)(٢) وعند ذكر نزول القرآن قال تعالى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ....)(٣) وقال أيضا (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ.... (٤) وعند الإيحاء قال تعالى: (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) (٥) وفى مقام الدعوة قال تعالى:(وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ....)(٦)

.....إلى غير ذلك من المواطن.

وقد لفت نظري وراع انتباه واستحوذ على عقلي بعضا من هذه الآيات التي وصف فيها صلى الله عليه وسلم بالعبودية فنظرت في سياقها ومقامها وغرضها فوجدت أنها اشتملت على كثير من الدرر البلاغية واللطائف الأدبية التي تستحق الدراسة ،إضافة إلى أن في ذلك التوقيت الزمني قام بعض أعداء الإسلام من أقباط المهجر بأمريكي بإخراج فلم يسيء للنبي صلى الله عليه وسلم إساءة بالغة ،كما قامت صحيفة فرنسية بنشر رسوم تسيء أيضا للنبي صلى الله عليه وسلم ،فأردت أن انتصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ببيان مقام من مقامات الرفعة والتشريف والتعظيم الذي خصه الله بها من خلال القرآن الكريم ،ورأيت أن أعظم هذه المقامات هو مقام وصف الله له بالعبودية، فبينت الأسرار البلاغية واللطائف الأدبية التي اشتملت عليها الآيات التي وصف فيها بالعبودية ، مبينا السر في وصفه بهذا الوصف في كل آية، مراعيا مناسبة السياق والمقام وقرائن الأحوال، فليست المناسبة واحدة في كل آية .

وقد أتى هذا البحث في مقدمة ــ اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطته ومنهج الباحث، ــ وتمهيد وعشرة مباحث وخاتمة .

أما التمهيد فقد اشتمل على تعريف العبودية.

وأما المباحث العشرة فهي:

المبحث الأول :البلاغة القرآنية في آية سورة البقرة رقم ٢٣.

المبحث الثاني :البلاغة القرآنية في آية سورة الأنفال رقم ٤١.

المبحث الثالث: البلاغة القرآنية في آية سورة الإسراء رقم ١.

المبحث الرابع :البلاغة القرآنية في آية سورة الكهف رقم ١.

المبحث الخامس :البلاغة القرآنية في آية سورة الفرقان رقم ١.

المبحث السادس : البلاغة القرآنية في آية سورة الزمر رقم ٣٦.

المبحث السابع :البلاغة القرآنية في آية سورة النجم رقم ١٠.

المبحث الثامن : البلاغة القرآنية في آية سورة الحديد رقم ٩.

المبحث التاسع : البلاغة القرآنية في آية سورة الجن رقم ١٩.

المبحث العاشر : البلاغة القرآنية في آية سورة العلق رقم ١٠.

ثم خاتمة البحث التي اشتملت على أهم النتائج ثم الفهارس الفنية.

أما عن المنهج الذي سرت عليه فهو :

ذكر مناسبة الآية لما قبلها ثم ذكر سبب نزولها ــ إن وجــدت ــ ثم ذكــر المعاني اللغوية للمفردات ،ثم ذكر المعنى العام للآية بإيجاز ،ثم ذكر ما ورد في كل آية من فنون بلاغية ولطائف أدبية ،وبعض هذه الآيات ذكرت في القران مرتين أو أكثر، مع اختلاف في الألفاظ بين التقديم والتــأخير والإجمــال والتفصــيل والحذف والذكر ......فكنت اذكر أوجه الاتفاق والاختلاف والفروق التعبيرية بين هذه الآيات، مبينا مناسبة كل آية لسياقها و مقامها والغرض التي سيقت ،له والتي لا يسد غيرها مسدها ولا يقوم بغرضها ومهمتها في النص .

والله الكريم أسأل أن يجعل هذا الجهد خالصا لوجهه الكريم ،وأن يبــيض بــه وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ،وأن يغفر الزلات والهنات والعثرات إنه خير مسئول وخير مجيب ،وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلــى آلــه وصحبه وسلم.

التمهيد :ويشتمل على:تعريف العبودية

العبودية لغة مأخوذة من مادة (عبد) والعين والباء والدال أصلان صــحيحان كأنهما متضادان، والأول من زينك الأصلين يدل على لين وذل، والآخر علــى شدة وغلظة. [٧] والعبد الإنسان حرا أو رقيقا يذهب بذلك إلى أنــه مربــوب لباريه جل وعلى ،والعبد المملوك خلاف الحر، والجمع :أعبُــد وعَبيــد وعُبُــد وعِبدان بكسر العين وضمها وعِبدَّان مشدد الدال. قال ابن الأنبا ري: فــلان عابد وهو الخاضع لربه المستسلم لقضائه المنقاد لأمره ويقال:عَبِد فلان: إذا ندم على شيء يفوته ويلوم نفسه على تقصير كان منه. [٨]

قال الخليل: إلا أن العامة اجتمعوا على تفرقة ما بين عباد الله والعبيد المملوكين يقال: هذا عبُد بيّن العبودية، و لم يسمعهم يشتقون منه فعلا، ولو اشتق لقيــل:

عَبْدَ أي صار عبدا وأقر بالعبودية وأما عَبَدَ يُعْبَدُ عبادة فلا يقال إلا لمن يَعْبد الله تعالى. والمتعبد المتفرد بالعبادة، واستعبدت فلانا اتخذتهُ عبدا، وأما عَبْدٌ في معنى خدم مولاه ،فلا يقال عَبَده ولا يقال يعبُد مولاه. (٩) والعبد المضاف إلى الله تعالى يجمع على عباد وإلى غيره على عبيد وهو الغالب، وفي العرف إضافة العباد تختص بالمؤمنين والعبيد إذا أضيف إلى الله فهو أعم من العباد (١٠) ولهذا قال: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ)(١١)

ويقال: اعبد فلان فلانا، أي جعله عبدا: ويقال للمشركين عبدة الطاغوت والأوثان، وللمسلمين عباد يعبدون الله تعالى، وتأنيث العبُد :عَبْدة .

والتعبد: التذلل والمعبد المذلل والمعبّد الذلول يوصف به البعير يقال هو الذي يترك ولا يركب، ومن الباب: الطريق المعبد وهو المسلوك المذلل . (١٢) فمعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع،ومنه طريق معبد إذا كان مذللا بكثرة الوطء ،وفلان عابد وهو الخاضع لربه والمستسلم المنقاد ،والمتعبد المنفرد بالعبادة ،والمعبد المكرم المعظم كأنه يعبد. (١٣) العبودية اصطلاحا

أصل العبودية: الخضوع والتذلل وقال آخرون :العبودية الرضا بما فعل الرب والعبادة فعل ما يرضى به الرب (١٤) وفي حديث أبي هريرة :(لا يقل أحدكم لمملوكه عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي)(١٥) هذا على نفي الاستكبار عليهم وأن ينسب عبوديتهم إليه فإن المستحق لذلك الله تعالى وهو رب العباد كلهم والعبيد.

وتعبّد فلان: تنسك وقعد في متعبده ،وتعبّد الرجل وعَبّده واعْتَبَده، صيّره كالعبد، وتعبّد الله العَبْدَ بالطاعة أي استعبده وعَبّده واعْتبده واستعبده اتخذه عبدا.(١٦) وقيل: هي الانقياد والاستسلام وهو يكون لله تعالى مثل قوله: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ) (١٧) ،وقد يكون لغيرا لله (١٨) مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (تعس عبد الدرهم ...) (١٩)

وقيل العبودية: الوفاء بالعهد وحفظ الحدود والرضى بالموجود والصبر على المفقود.[٢٠]

فقد تبين أن مادة عبد من معانيها: الذل والافتقار والتنسك والعبادة الخالصة لله، والاستسلام والانقياد والرضا لأمر الله.

وان العبودية هي: التذلل والخضوع لله والرضا بما فعل والوفاء بالعهد وحفظ الحدود والصبر على المفقود .....

وكل هذه الأوصاف تحققت في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك استحق أن يوصفه ربه بالعبودية تشريفا وتعظيما، كما سيظهر ذلك في صلب البحث.

آيات وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالعبودية في القرآن الكريم

- (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)(البقرة:٢٣).
- (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(الانفال:٤١).
- (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الإسراء:١).
- (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا)(الكهف:١)
- (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (الفرقان:١).
- (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) (الزمر:٣٦).
- (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ) (النجم:١٠).
- (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (الحديد:٩).

- (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) (الجن:١٩).
- (عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ) (العلق:١٠).

المبحث الأول: البلاغة القرآنية في آية سورة البقرة رقم ٢٣

(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)(البقرة: ٢٣).

نزلت هذه الآية في جميع الكفار، وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في اليهود، وسبب ذلك أنهم قالوا: هذا الذي يأتينا به محمد لا يشبه الوحي، وإنا لفي شك منه. [٢١]

ومناسبة هذه الآية لما قبلها هي: أنه سبحانه لما أقام الدلائل القاهرة على إثبات الصانع عقبه بما يدل على النبوة.... ولما كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مبنية على كون القرآن معجزًا أقام الدلالة على كونه معجزًا [٢٢].

(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ....). الواو إما حرف عطف أو استئناف فإن كانت عطفا فهذه الجملة معطوفة إما على قوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ....) أو(فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا .....)والمناسبة التي اقتضت عطف هذه الجملة على إحدى الجملتين السابقتين هو أن قوله: (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ...) انتقال لإثبات الجزء الثاني من جزئي الإيمان بعد أن تم إثبات الجزء الأول من ذلك بما قدمه من قوله:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ....) فبعد أن أوجب سبحانه العبادة ونفي الشرك بإزاء تلك الآيات، والانقياد بها لا يمكن بدون التصديق بأنها من عنده سبحانه أرشدهم بما يوجب هذا العلم، فتلك هي المناسبة التي اقتضت عطف هذه الجملة على قوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ....).

أما مناسبة عطفها على قوله: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا .....) هو أن النهي عن أن يجعل لله أندادًا جاء من عند الله، فهم بمظنة أن ينكروا أن الله نهى عن عبادة شفعائه ومقربيه، لأنهم من ضلالهم كانوا يدعون أن الله أمرهم بذلك، قال تعالى: (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم.....)(الزخرف:٢٠). فزاد بهذا مناسبة

عطف هذه الآية على قوله: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا .....) (٢٣)

(وَإِن كُنتُمْ) حرف (إن) إما للتوبيخ على الارتياب وتصوير أنه مما لا ينبغي أن يثبت إلا على سبيل الفرض، لاشتمال المقام على ما يزيله، أو لأن البعض لما كان مرتابا والبعض غير مرتاب، جعل الجميع كأنه لا قطع بارتيابهم ولا بعدمه، (٢٤) وأتى بـ(إن) في تعليق هذا الشرط وهو كونهم في ريب، مع أن (إن) للشك بخلاف (إذا) التي هي لليقين، للإيذان بأن من شأن هذا التتريل أن لا يرتاب فيه لأن الحق فيه ظاهر بذاته، ولأن مدلول هذا الشرط قد حُفَّ به من الدلائل ما شأنه أن يقلع الشرط من أصله بحيث يكون وقوعه مفروضا، فيكون الإتيان بأن مع تحقق ذلك الشرط كأن ريبهم في القرآن مستضعف الوقوع (٢٥).

أو أن ذلك تتريلا للمحقق مترلة المشكول فيه وتتريها لساحة القرآن من أن يتحقق الشك فيه من أي أحد، وتوبيخا لهم على وضعهم الأمور في غير موضعها(٢٦).

وادعى بعض المفسرين أن (إن) هنا بمعنى (إذا) ومذهب المحققين أن (إن) لا تكون بمعنى إذا (٢٧).

(كنتم) وإيراد كلمة (كان) لإبقاء معنى المضي، فإنها لتمحضها للزمان لا تقبلها (إن) إلى معنى الاستقبال، كما ذهب إليه المبرد وموقفوه، والجمهور على أنها كائد الأفعال الماضية. (٢٨)

(في) ووجه الإتيان بـ(في) الدلالة على الظرفية، والإشارة إلى أنهم قد استملكهم الريب وأحاط بهم إحاطة الظرف بالمظروف (٢٩).

(ريب) والتعبير عن اعتقادهم في صفته بالريب مع أنهم جازمون بكونه من كلام البشر إما للإيذان بأن أقصى ما يمكن صدروه عنهم وإن كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد، هو الارتياب في شأنه، وأما الجزم المذكور فخارج عن دائرة الاحتمال، كما أن تنكيره وتصديره بكلمة الشك للإشعار بأن حقه أن يكون ضعيفا مشكوك الوقوع، وإما للتنبيه على أن جزمهم ذلك بمترلة الريب

الضعيف لكمال وضوح دلائل الإعجاز ونهاية قوتها.

وإنما يقل (وإن ارتبتم فيما نزلنا) إلخ للمبالغة في تتريه ساحة التتريل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى: (لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ) (٣٠) والإشعار بأن ذلك إن وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية. (٣١).

وتنكير الريب للتقليل وللإشعار بأن حقه- إن كان- أن يكون ضعيفا قليلا لسطوع ما يدفعه وقوة ما يزيله.

وجعله ظرفا- بتتريل المعاني مترلة الأجرام واستقرارهم فيه وإحاطته بهم- لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته، كما أن ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته.(٣٢)

(مما) ومن في (مما) ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب، ويجوز أن تكون للتبعيض، كما أن حملها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب في الجملة وحاشاه ذلك.

و(ما) موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم، لأنه القدر المشترك بينه وبين أبعاضه، ومعنى كونهم في ريب منه، ارتيابهم في كونه وحيا من الله تعالى شأنه (٣٣).

والعائد محذوف أي (نزلناه) وحذف لكونه معلوما يفهم من السياق، وأجاز بعضهم أن تكون (ما) نكرة موصوفة (٣٤).

(نزّلنا) وعبر بـ(نزّلنا) دون (أنزلنا) لأن المراد الترول على سبيل التدريج والتفخيم، فإيثار التتريل المنبئ عن التدريج على مطلق الإنزال لتذكير منشأ ارتيابهم، وبناء التحدي عليه إرخاء للعناء وتوسيعا للميدان، فإنهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة إلى إنكاره فجعل ذلك من مبادئ الاعتراف به، كأنه قيل: إن ارتبتم في شأن ما نزلناه على مهمل وتدريج فهاتوا مثل نوْبة فَذة من نُوَبه وينجم فرد من نجومه فإنه أيسر عليكم من أن يترل جملة واحدة، ويتحدى

بالكل، وهذا في غاية التبكيت وإزاحة العلل[٣٥].

وذهب أبو حيان والألوسي وغيرهما إلى أن التضعيف في (نزّلنا) للنقل، وهو المرادف لهمزة النقل، ويدل على مرادفتهما في هذه الآية قراءة يزيد بن قطيب (مما أنزلنا) بالهمزة، وليس التضعيف هنا دالا على نزوله منجما [٣٦].

وأيضا لو كان (نزّل) مفيدًا للتنجيم لاحتاج قوله تعالى:(لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) [٣٧]. إلى تأويل لمنافاة العجز الصدر، وكذلك قوله: (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ) [٣٨] وقوله:(لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا) [٣٩]. وقد قرئ بالوجهين في كثير مما لا يمكن فيه التنجيم والتبكيت[٤٠].

وفي (نزّلنا) التفات من الغيبة في قوله:(اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) و(فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا) إلى التكلم في قوله: (مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا) وسر هذا الالتفات هو التفخيم للمترل والمترل عليه مالا يؤديه ضمير الغائب، لا سيما كونه أتى بـ (نا) المشعرة بالتعظيم التام وتفخيم الأمر[٤١].

وتعدية (نزلنا) بـ(على) إشارة إلى الاستعلاء المترل على المترل عليه وتمكينه منه، وأنه قد صار كالملابس له، بخلاف (إلى) إذ لا دلالة لها على أكثر من الانتهاء والوصول. [٤٢]

(عَلَىٰ عَبْدِنَا) المراد به هو سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وفي ذكره (صلى الله عليه وسلم) بعنوان العبودية مع الإضافة إلى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لأوامره تعالى ما لا يخطى وفي ذلك غاية التشريف والتنويه بعظم قدره (صلى الله عليه وسلم) [٤٣]

وهذا يدل على أن العبادة أشرف الخصال والتسمي بها أشرف الأسماء لأنه سمى نبيه، عبداً، يقول الشاعر:

ياقوم قلبي عند زهراء ... يعرفه السامع والرأي
لا تدعني إلا بيا عبدها ... لأنه أشرف أسمائي.[44]

فوصف الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالعبودية في هذا الموضع لــه دلالات متنوعة متكاملة، فهو أولاً: تشريف للنبي وتقريب بإضافة عبوديته لله تعالى، دلالة على أن مقام العبودية لله هو أسمى مقام يدعي إليه بشر ويدعي به كذلك.

وهو ثانيًا: تقرير لمعنى العبودية في مقام دعوة الناس كافــة إلى عبــادة رهــم وحده، وإطراء الأنداد كلها من دونه، فها هو ذا النبي (صلى الله عليه وسلم) في مقام الوحي ــ وهو أعلى مقام- ويدعى بالعبودية لله ويشرف بهذه النســبة في هذا المقام.(٤٥)

كما أن في ذكره باسم العبودية تذكير لأمته بهذا المعــنى حــتى لا يغــالوا في تعظيمه فيدّعوا ألوهيته كما غالت بعض الفرق في تعظيم أنبيائهــا أو زعمــائهم فادعت ألوهيتهم. (٤٦)

(فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ) الأمر في (فأتوا) للتهكم والتعجيز وإلقام الحجر(٤٧)

والفاء للجواب وسببية الارتياب بالأمر أو الإتيان بالمأمور لما أشير إليه من أنــه عبارة عن جزمهم المذكور فإنه سبب للأول مطلقًا، والثاني على تقرير الصــدق كأنه قيل:

إن كان الأمر كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا بمثله لأنكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم. (٤٨)

(بِسُورَةٍ) وإنما كان التحدي بسورة و لم يكن بمقدار سورة من آيات القــرآن لأن من جملة وجوه الإعجاز أمورًا لا يظهر خصائصها إلا بالنظر في نظم الكلام كاملاً وبيان المناسبات وأوجه الربط بين السابق واللاحق..(٤٩)

والتنكير في (سُورَةٍ) للإفراد أو النوعية، أي بسورة واحدة من نوع السور، أو لإرادة العموم والشمول، والسورة الطائفة من القرآن المترجمــة أقلــها ثــلاث آيات(٥٠)

فلم يقترح عليهم الإتيان بسورة طويلة فيتعنتوا في ذلك بل سهل عليهم وأراح

عليهم بطلب الإتيان بسورة ما، وفيه من التبكيت والتخجيل لهم في الارتياب ما لا يخفى [٥١]

(مِّن مِّثْلِهِ) صفة لسورة أي بسورة كائنة من مثله، والضمير فيه إما أن يعود على المترل وهو القرآن والمعنى: فأتوا بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائع والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الإعجاز.

وإما أن يعود على (عَبْدِنَا) والمعنى: فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرًا أميًا لم يقرأ الكتب، والأول هو الراجح عند أكثر المفسرين. [٥٢]

و(من) إما أن تكون ابتدائية ويحتمل أن تكون تبعيضية، ويحتمل أن تكون بيانية أو زائدة، وقد قيل بذلك كله. [٥٣]

لكن جعلها تبعيضية يوهم أن له مثلاً محققًا قد أريد تعجيزهم عن الإتيان ببعضه، كأنه قيل: فأتوا ببعض ما هو مثل له، فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلاً عن كونها مدار للعجز مع أنه المراد.

وبناء الأمر على المجارة معهم بحسب حسباهم حيث كانوا يقولون: (لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا،) [٥٤]

أو على التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويفه ولو بغير حد. [٥٥]

ولما طلب منهم المعارضة بسورة على تقدير حصولهم في ريب من كونه من عند الله، لم يكتف بقولهم ذلك بأنفسهم حتى طلب منهم أن يدعوا شهداءهم على الاجتماع على ذلك والتظاهر والتعاون والتناصر فقال. [٥٦] (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ) وهذه الجملة معطوفة على (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ) أي أئتوا بها وادعوا شهداءكم، فقد وصل بين الجملتين للتوسط بين الكمالين مع عدم المانع[٥٧]، فقد اتفقت الجملتان في الإنشائية لفظا ومعنى ووجدت مناسبة بينهما وهي الاتحاد في المسند إليه و لم يوجد مانع للوصل.

والدعاء: يستعمل بمعنى طلب حضور المدعو، وبمعنى استعطافه وسؤاله لفعل

ما. والشهداء جمع شهيد على صفة فعيل للمبالغة، وكأن فيه إشارة إلى أن يـأتوا بشهداء بالغين في الشهادة يصلحون أن تقام بهم الحجة. (٥٨)

والشهيد بمعنى: الحاضر ثم استعمل هذا اللفظ فيما يلازم الحضـور مجـازاً أو كناية لا بأصل وضع اللفظ، وأطلق على النصير على طريق الكناية فإن الشـاهد يؤيد قول المشهود فينصره على معارضه. (٥٩)

والمراد بالشهداء: إما الأصنام، والمعنى: ادعوا أصنامكم الذين اتخذتموهم آلهـة متجاوزين الله تعالى في اتخاذهم، والتعبير عن الأصنام بالشهداء مع إضافتها لهـم مع أنها لا تعقل ولا تنطبق، وفي أمرهم بدعوتها وهي جمادات كل ذلك من أقوى ألوان التهكم بهم، لكي يسير في نفوسهم من الألم ما قد يكون سببًا لتنبيههم إلى جهلهم وانصرافهم عن ضلالهم.

وقيل المراد بالشهداء مدارة القوم ووجوه المحافل والمحاضر أو أن في التعبير عنهم بالشهداء ترشيح له بتذكير ما اعتقدوه من أنها من الله تعالى بمكان، وأنها تنفعهم بشهادتهم، كأنه قيل هؤلاء عدتكم وملازكم فادعوهم لهذه العظيمـة النازلـة بكم. (٦٠)

والمقصود بهذا الأمر التهكم والتعجيز وإرخاء العنان والاسـتدراج إلى غايـة التبكيت، كأنه قيل: تركنا إلزامكم بشهداء لا ميل لهم إلى أحد الجانبين، كمـا هو المعتاد، واكتفينا بشهدائكم المعروفين بالذب عنكم، فإنهم أيضًا لا يشـهدون لكم حذرًا من اللائمة. (٦١)

(مِّن دُونِ اللَّهِ) أي من دون أولياء الله، وفي التعبير به توبيخ لهـم بـأنهم لم يرضوا بشهادته سبحانه، وحكم الإتيان بـ (من) التبعيضية في هذه السورة دون بقية القرآن أنه سبحانه لما فرض لهم فيها الريب الذي يلزم منه زعمهم أن يكونوا اطلعوا له على مثيل أو سمعوا أن أحدًا عثر له على شبيه، اقتضى الحال الإتيان بها ليفيد أن المطلوب منهم في التحدي قطعة من ذلك المثل الذي ادعـوه حكيمـة المعاني، متلائمة المباني منتظم أولها بآخرها، فالتحدي هنا منصرف إلى الآية بالنظر

الأول، وإلى ما فوقها بالنظر الثاني [٦٢] ومعنى (دُونِ) أدنى مكان من الشيء، ومنه الشيء الدون، وهو الدني الحقير، وتدون الكتب إذا جمعها لأن جمع الأشياء إدناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها..... ثم استعير للتفاوت في الأحوال والرتب: فقيل: زيد دون عمرو في الشرف والعلم...... واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي حكم إلى حكم. [٦٣] وإخراجه سبحانه وتعالى من حكم الدعاء في الأول مع اندراجه في الحضور لتأكيد تناوله لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فإن ذلك مما يوهم أنهم لو دعوه تعالى لأجابهم إليه، وأما في سائر الوجوه فالتصريح من أول الأمر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عداوة المحادة والمشاقة له قاصدين استظهارهم على ما سواه [٦٤] و(من) لابتداء الغاية متعلقة بـ (ادْعُوا) والأمر في (وَادْعُوا) للتعجيز والإرشاد، أي: ادعوا إلى المعارضة من يحضر لكم أو من ينصركم بزعمكم متجاوزين الله تعالى في الدعاء بأن لا تدعوه، أو أن الأمر للتبكيت والمعنى: ادعوا من دون الله من يقيم لكم الشهادة بأنما أتيتم به ماثله، لا يشهد ولا تدعوا الله تعالى للشهادة بأن تقولوا: الله تعالى شاهد وعالم بأنه مثله فإن ذلك من علامة العجز والانقطاع عن إقامة البينة. [٦٥]

و(مِّن دُونِ اللَّهِ) إما متعلق بادعوا، أي ادعوا من دون الله شهداءكم، ويحتمل أن يكون متعلقًا بـ(شُهَدَاءَكُم) والمعنى: ادعوا من اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة، وأنكم على الحق، أو يكون معنى (مِّن دُونِ اللَّهِ) بين يدي الله.

وجملة (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) جملة معترضة في آخر الكلام وتذييل، وجواب الشرط محذوف دل عليه الكلام السابق دلالة واضحة، حتى صار ذكره في نظم الكلام مما يترل به عن مرتبة البلاغة، والمعنى: إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم تقدرون على معارضة القرآن فأتوا بسورة من مثله.

وفي هذه الآية الكريمة إثارة لحماسهم؛ إذ عرّض بعدم صدقهم فتتوفر دواعيهم على المعارضة التي زعموا أنهم أهل لها[٦٦]، وأتى بإن الشرطية التي الأصل في شرطها أن يكون غير مقطوع بوقوعه لأن صدقهم غير محتمل الوقوع [٦٧].

وحذف متعلق الصدق، أي إن كنتم صادقين في زعمكم في أنه كلام البشر، أو في أنكم تقدرون على معارضته فأتوا وادعوا وهو كالتكرار للتحدي والتأكيد له، ولذلك ترك العطف [٦٨] بين هذه الجملة وسابقتها لكمال الاتصال [٦٩]؛ لأن هذه الجملة نزلت من الجملة السابقة منزلة نفسها تكرارها وتأكيد لها.

المبحث الثاني: البلاغة القرآنية في آية سورة الأنفال رقم ٤١

قال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

ومناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنها بيان لما أجمل من حكم الأنفال الذي افتتحت السورة به. [٧٠]

أو هي أنه لما أمر تعالى بقتال الكفار حتى لا تكون فتنة اقتضى ذلك وقوع حروب، فذكر بعض أحكام الغنائم، وكان في ذلك تبشير للمؤمنين بغلبتهم للكفار، وقسم ما تحصل منهم من الغنائم. [٧١]

وهذه الآية نزلت في غزوة بدر، وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام والراجح الأول. [٧٢]

(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) هذه الجملة معطوفة على جملة (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) لاتفاق الجملتين في الإنشائية لفظا ومعنى، ووجود المناسبة التامة بينهما، وهي أن الأمر بقتال المشركين يستلزم الحديث عن الغنائم والفيئ، وكذلك الاتحاد في المسند إليه في الجملتين، وسر هذا الوصل هو التوسط بين الكمالين مع عدم المانع.

وافتتاح الآية بقوله (وَاعْلَمُوا) للاهتمام بشأنه والتنبيه على رعاية العمل به، فإن المقصود بالعلم تقرر الجزم بأن مرادًا به صريحه ولازمه، والخطاب لجميع المسلمين وبالخصوص جيش بدر، وليس هذا نسخا لحكم الأنفال المذكور أول السورة بل هو بيان لإجمال قوله: (لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ)[٧٣]

و(ما) اسم موصول بمعنى الذي و(غَنِمْتُم) صلته والعائد محذوف والتقدير: الذي غنمتموه، (٧٤).

(مِّن شَيْءٍ) بيان للعموم الذي في (ما) لئلا يتوهم أن المقصود غنيمة معينة خاصة. (٧٥)

و(مِّن شَيْءٍ) في محل نصب على أنه حال من العائد المحذوف أي غنمتموه من شيء سواء أكان هذا الشيء قليلا أم كثيرًا، والمقصود الاعتناء بشأن الغنيمة وأنه لا يشذ عنها شيء (٧٦).

(فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) دخلت الفاء لما في الموصول من معنى الشرط وما في الخبر من معنى المجازاة بتأويل: إن غنمتم فحق لله خمسه، والمصدر المؤول بعد إن في موضع رفع خبر مبتدأ والتقدير: فالحكم أن لله خمسه، أو فحق لله خمسه. (٧٧)

والجمهور على أن ذكر الله تعالى: للتعظيم والتبرك وتفخيم الأمر والحض على إخلاص النية عند القسمة وعلى الامتثال والطاعة لله، كما في قوله تعالى: (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ). (٧٨)

وأن المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه بقوله: (وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ....) (٧٩)

أو أنه أضافها لنفسه لأنه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه أن سهما منه لله مفردًا. (٨٠)

وإنما أتى على هذا النظم (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) مع كون اللام كافيا في الدلالة على الأحقية كما قرىء في الشاذ: (فلله خمسه) لما يفيده حرف (إن) من الإسناد مرتين تأكيدًا، ولأن في حذف ركني الإسناد تكثير لوجوه الاحتمال في المقدر من نحو تقدير: حق أو ثابت أو لازم. (٨١)

واللام للملك والاستحقاق.

(وَلِذِي الْقُرْبَىٰ) أعيدت اللام هنا دون غيرهم من الأصناف التالية لرفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصافهم به، واللام في

(الْقُرْبَىٰ) عوض عن المضاف إليه، والمراد هنا هو الرسول المذكور قبله، أي لذوي قربى الرسول، أي قرابته، وذلك إكرام من الله لرسوله إذ جعل لأهل قرابته حقا في مال الله لأن الله حرم عليهم أخذ الصدقات والزكاة (٨٢).

(إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ) شرط متعلق بما دل عليه قوله (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم) وهو دليل على الجواب، أو هو الجواب مقدما على شرطه والتقدير: (إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنما غنمتم....).

وجيء في الشرط بحرف (إن) التي شأن شرطها أن يكون مشكوكا في وقوعه زيادة في حثهم على الطاعة حيث يفرض حالهم في صورة المشكوك في حصول شرطه إلهابًا لهم، ليبعثهم على إظهار تحقق الشرط منهم، فهم بطبيعة الحال مؤمنين، وكأن هذا القول جاء ليراجعوا إيمامهم إذ اعترضوا على هذا التقسيم، فإن طمع أحد منهم في الخمس الذي هو لله وللرسول يكون قد خدش إيمامه.(٨٣)

(وَمَا أَنزَلْنَا) معطوفا على قوله: (إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ) أي إن كنتم آمنتم بالله وبالمترل على عبدنا، فقد اتفقت الجملتان في الخيرية لفظا ومعنى ووجدت مناسبة تامة بين الجملتين؛ فإن الإيمان لا يتم كاملا إلا بالإيمان بالكتاب الذي أنزل على رسوله وسر هذا الوصل هو: التوسط بين الكمالين مع عدم المانع.

و(ما) موصوله والعائد محذوف، أي الذي أنزلنا وحذف العائد لكونه معلوما من السياق.

(عَلَىٰ عَبْدِنَا) أي محمد صلى الله عليه وسلم وفي التعبير عنه بذلك ما لا يخفى من التشريف والتعظيم والتكريم (٨٤)

ويقول صاحب ظلال القرآن مبينا السر في وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالعبودية في هذه الآية: (ثم تقف أمام وصف الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم بقوله(عبدنا) في هذا الموضع الذي يرد إليه فيه أمر الغنائم كلها ابتداء، وأمر الخمس المتبقي أخيرًا.. إنه وصف موحٍ إن العبودية لله هي حقيقة الإيمان، وهي في الوقت ذاته أعلى مقام للإنسان يبلغ إليه بتكريم الله له، فهي تجلي وتذكر

في المقام الذي يوكل فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم التبليغ عن الله، كما يوكل إليه فيه التصرف فيما خوله الله، وأنه كذلك في واقع الحياة، إنه كـــذلك مقام تكريم، أكرم مقام يرتفع إليه الإنسان، إن العبودية لله وحده هي العاصم من العبودية للهوى والعاصم من العبودية للعباد، وما يرتفع الإنسان إلى أعلى مقـــام مقدر له إلا حين يعتصم من العبودية لهواه، كما يعتصم من العبودية لســـواه..) (٨٥)

(يَوْمَ الْفُرْقَانِ) هو يوم بدر والإضافة للعهد أو للتنويه به وتشـــريفه، و(يـــوم) منصوب بـــ (أنزلنا) ويجوز أن يكون متعلقا بـــ (أمنتم) وسمى بذلك لفرقه بـــين الحق والباطل. (٨٦)

وتخصيص (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ) بالذكر من بين جملة المعلومـــات الراجعة للاعتقاد لأن لذلك المترل مزيد تعلق بما أمروا به من العمل المعـــبر عنـــه بالأمر بالعلم في قوله (وَاعْلَمُوا) (٨٧)

(يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) بدل من (يَوْمَ الْفُرْقَانِ) وإضافة يوم إلى جملـــة (الْتَقَـــى الْجَمْعَانِ) للتذكير بذلك الالتقاء العجيب، الذي كان فيه نصرهم على عدوهم. والتعريف في (الْجَمْعَانِ) للعهد وهم جمع المسلمين وجمع المشركين. (٨٨)

ولما كان انعكاس الأمر في النصر محل عجب ختم الآية بقوله: (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أي من نصر القليل على الكثير وعكسه وغير ذلك من جميع الأمـــور فكان ختما بذلك كاشفًا للسر ومزيلاً للعجب (٨٩)

وهذه الجملة اعتراض بتزييل الآية السابقة، وهو متعلق ببعض جملة الشرط في قوله (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا) فإن ذلك دليل على أنه لا يتعاصى علـــى قدرتـــه شيء، فإن ما أسداه إليكم يوم بدر لم يكن جاريا على متعارف الأسباب المعتادة فقدرة الله قلبت الأحوال وأنشأت الأشياء من غير مجاريها. (٩٠)

المبحث الثالث: البلاغة القرآنية في آية سورة الإسراء رقم ١

قالي تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

وسبب نزول هذه السورة هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر لقريش الإسراء كذبوه، فأنزل الله هذه السورة تصديقا له. (٩١)

ومناسبتها لما قبلها هي: أنه تعالى لما أمره في سورة النحل بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وألا يضيق صدره من مكرهم، وكان مكرهم نسبته إلى الكذب والسحر والشعر وغير ذلك مما رموه به، أعقب تعالى ذلك بذكر شرفه وفضله واحتفائه به، وعلو مترلته عنده، (٩٢)

قوله (سُبْحَانَ) تتريه لله عن السوء، وهو علم للتسبيح، وانتصابه على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: أسبح الله سبحان، أو سبحت الله سبحان، ثم نزل سبحان مترلة الفعل فسد مسده (٩٣) ودلّ على التتريه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله، وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التتريه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهب والإبعاد في الأرض.. ومن جهة النقل إلى التفعيل، ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما وهو علم يشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن، ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل، وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التتريه ففيه مبالغة من حيث إضافة التتريه إلى ذاته المقدسة، ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى: كأنه قيل: تتره بذاته وتعالى (٩٤)

وفي افتتاح الكلام بلفظ (سُبْحَانَ) بداعة استهلال، لأنه كما كان أمرًا خارقًا للعادة بدأه بلفظ يشير إلى كمال القدرة وتتره الله عن صفات النقص. (٩٥)

فالافتتاح بكلمة التسبيح من دون سبق كلام متضمن ما يجب تتريه الله يؤذن كأن خبرًا عجيبًا يستقبله السامعون، دالاً على عظيم القدرة من المتكلم ورفيع مترلة المتحدث عنه.

فجملة التسبيح في الكلام الذي لم يقع فيه ما يوهم تشبيها أو تنقيصا لا يليقان

بجلال الله تعالى مثل: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) (٩٦) يتعين أن تكون مستعملة في أكثر من التتريه، وذلك هو التعجيب من الخبر المتحدث به كقوله: (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)(٩٧)

ولما كان هذا الكلام من جانب الله تعالى والتسبيح صادرًا منه كان المعنى تعجيب السامعين، لأن التعجب مستحيل حقيقة على الله، لا لأن ذلك لا يلتفت إليه في مجال الكلام البليغ لإمكان الرجوع إلى التمثيل، بل لأنه لا يستقيم تعجب المتكلم من فعل نفسه، فيكون معنى التعجب فيه من قبيل قولهم: أتعجب من قول فلان: كيت وكيت، ووجه هذا الاستعمال أن الأصل أن يكون التسبيح عند ظهور ما يدل على إبطال ما لا يليق بالله تعالى، ولما كان ظهور ما يدل على عظيم القدرة مزيلا للشك في قدرة الله وللإشراك به كان من شأنه أن ينطق المتأمل بتسبيح الله تعالى أي تتريهه عن العجز. (٩٨)

ولو تأملنا كلمة (سُبْحَانَ) نجدها تستعمل في الأشياء التي ضاقت فيها العقول وتحيرت في إدراكها، وفي الأشياء العجيبة مثل قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا). (٩٩)

وقوله :(فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ). (١٠٠)

وقوله: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا)(١٠١)

فهذه كلها أمور عجيبة لا يقدر عليها إلا الله وردت فيها كلمة سبحان، وهو اسم يدل على الثبوت والدوام فكأن تتريه الله موجود وثابت له سبحانه قبل أن يوجد المتره. (١٠٢)

والتعبير عن الذات العلية بطريق الموصول دون الاسم العلم للإشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف، فإن ذلك من أدلة كمال قدرته وبالغ حكمته وغاية تتريهه تعالى عن صفات النقص وللتنبيه على ما تفيده صلة الموصول من الإيماء إلى وجه

هذا التعجيب والتنويه وسببه، وهو ذلك الحادث العظيم والعناية الكبرى، كما يفيد أن حديث الإسراء أمر فشا بين القوم، فقد آمن به المسلمون وأكبره المشركون، وفي ذلك إدماج لرفعة قدر محمد صلى الله عليه وسلم وإثبات أنه رسول من الله، وأنه أوتي من دلائل صدق دعوته ما لا قبل لهم بإنكاره. (١٠٣)

(أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ) الإسراء السير ليلا وسرى وأسرى بمعنى واحد، وليست الهمزة فيه للتعدية بل عدى بالباء، وقد ذكر العلماء أن تعدية الفعل بالباء هنا أبلغ من تعديته بالهمزة لأن الباء في أصل وضعها تقتضي مشاركة الفاعل والمفعول في الفعل فأصل (ذهب به) أنه استصحبه فعديّ الفعل بالباء هنا لدلالته على المصاحبة زيادة في التشريف. (١٠٤)

وهذه لطيفة تناسب المقام هنا إذ قال (أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ) دون (سرى بعبده) وهي التلويح إلى أن الله تعالى كان مع رسوله في إسرائه بعنايته وتوفيقه (١٠٥) كما قال (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ)(١٠٦) وقال (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (١٠٧) وقيل لا يلزم من تعدية الفعل بالباء المشاركة في الفعل بل المعنى جعله يسرى. (١٠٨)

(بِعَبْدِهِ) أي الذي هو أشرف عباده وأحقهم بالإضافة إليه الذي لم يتعبد قط لسواه من صنم ولا غيره لرجاء شفاعته ولا غيرها. (١٠٩)

فالإضافة للتشريف والتكريم، وأوثر التعبير بلفظ العبد للدلالة على أن مقام العبودية لله تعالى هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها، إذ لو كان هناك وصف أعظم منه في هذا المقام لعبر به وللإيذان بتمخضه صلى الله عليه وسلم في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الإسراء ومنتهاه، وبالإشارة أيضا إلى تقرير هذه العبودية لله – تعالى- وتأكيدها حتى لا يلتبس مقام العبودية بمقام الألوهية كما التبس في العقائد المسيحية حيث ألّهو عيسى ومريم مع أنهما برئيان من ذلك (١١٠)

وذكر العلماء أنه لم يعبر الله تعالى عن أحد بالعبد مضافًا إلى ضمير الغيبة المشار به إلى الهوية إلا النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي ذلك من الإشارة ما فيه،

وقيل إن في التعبير به هنا دون حبيبه مثلاً سدًا لباب الغلو فيه (صلى الله عليه وسلم) كما وقع للنصارى في نبيهم عليه السلام (١١١)

(لَيْلاً) الإسراء السير بالليل خاصة فما سر ذكر كلمة الليل؟ السر في كلمة (لَيْلاً) بلفظ التنكير إفادة قلة زمان الإسراء في أنه أسرى به في بعض الليل وذلك أن التنكير فيه دل على معنى البعضية، ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة (من الليل) أو أن الغرض من ذكر الليل وإن كان الإسراء يفيده تصوير السير بصورته في ذهن السامع وكأن الإسراء لما دل على أمرين: أحدهما: السير والآخر: كونه ليلاً، أراد إفراد أحدهما بالذكر تثبيتًا في نفس المخاطب وتنبيها على أنه مقصود بالذكر. (١١٢) وقيل المراد بالتنكير أنه وقع في وسطه ومعظمه، كما يقال: جاءني فلان بليل، أي في معظم ظلمته، فيفيد البعضية أيضاً وفي ذلك إيماء إلى أنه إسراء خارق للعادة لقطع المسافة التي بين مبدأ السير ونهايته في بعض ليلة.

وقيل التنكير في (لَيْلاً) للتعظيم بقرينة الاعتناء بذكره مع علمه من فعل (أَسْرَىٰ) وبقرينة عدم تعريفه، أي هو ليل عظم باعتبار جعله زمنا لذلك السرى العظيم فقام التنكير هنا مقام ما يدل على التعظيم.(١١٣)

(مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) وصف المسجد بالحرام لأنه كله مسجدًا أو لأنه محيط به، أو ليطابق المبدأ المنتهى (١١٤) أو وصف بذلك لأنه لا يحل انتهاكه بقتال فيه ولا يصيد صيده ولا يقطع شجرة، لأن أصل الحرم الأمر الممنوع لأنه مشتق من الحَرْم ـــ بفتح فكون ـــ وهو المنع، فوصف الشيء بالحرم يكون بمعنى الممنوع استعماله استعمالاً لا يناسبه.(١١٥)

ووصف مسجد فلسطين بالأقصى لبعده عن المسجد الحرام، إذ المسافة بينهما كان يقطعها الراكب بالإبل في مدة شهر أو أكثر، وهو وصف كاشف اقتضاه هنا زيادة التنبيه على معجزة هذا الإسراء وكونه خارقًا للعادة لكونة قطع مسافة طويلة في بعض ليلة، وبهذا الوصف الوارد في القرآن صار مجموع الوصف والموصوف علما بالغلبة على مسجد بيت المقدس، كما كان المسجد الحرام علما

بالغلبة على مسجد مكة.[١١٦]

وهذا الوصف له بصيغة التفضيل باعتبار أصل وضعها معجزة حقيقية من معجزات القرآن الكريم إيماء إلى أنه سيكون بين المسجدين مسجد عظيم هو مسجد طيبة الذي هو قصيٌّ عن المسجد الحرام، فتكون الآية مشيرة إلى المساجد الثلاثة المفضلة على جميع المساجد.

وفائدة ذكر مبدأ الإسراء ونهايته بقوله (مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) أمران أحدهما: التنصيص على قطع المسافة العظيمة في جزء ليلة،لأن كلا من الظرف (لَيْلاً) والجار والمجرور (مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) قد تعلق بفعل (أَسْرَى) فهو تعلق يقتضي المقارنة ليعلم أنه من قبيل المعجزات.

ثانيهما: الإيماء إلى أن الله تعالى يجعل هذا الإسراء رمزاً إلى أن الإسلام جمع ما جاءت به شرائع التوحيد والحنفية من عهد إبراهيم ــ والصادر من المسجد الحرام ــ إلى ما تفرع عنه من الشرائع التي كان مقرها بيت المقدس، ثم إلى خاتمها التي ظهرت من مكة أيضًا، فقد صارت الحنفية من المسجد الحرام وتفرعت في المسجد الأقصى، ثم عادت إلى المسجد الحرام، كما عاد الإسراء إلى مكة، وبذلك حصل رد العجز على الصدر.[١١٧]

ثم وصفه بما يقتضي تعظيمه وأنه أهل للعقد فقال: (الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) ووصف المسجد الأقصى بهذه الصفة يصور البركة حافلة بالمسجد فائضة عليه، وهو ظل لم يكن ليلقيه التعبير مثلاً بقوله: باركناه، أو باركنا فيه، وذلك من دقائق التعبير القرآني العجيب.[١١٨]

وجئ في الصفة بالموصولية لقصد تشهر الموصوف بمضمون الصلة حتى كأن الموصوف مشتهر بالصلة عند السامعين، والمقصود إفادة أنه مبارك حوله، وصيغة المبالغة هنا للمبالغة في تكثير الفعل.

ووجه الاقتصار على وصف المسجد الأقصى في هذه الآية دون وصف المسجد

الحرام هو أن شهرة المسجد الحرام بالبركة استجابة لدعوة إبراهيم معلوم للعرب، أما المسجد الأقصى فقد تناسى الناس ذلك كله، فالعرب لا علم لهم به، والنصارى عفواً أثره من كراهيتهم لليهود، واليهود قد ابتعدوا عنه وأيسو من عوده إليهم، فاحتيج إلى الإعلام ببركته.[١١٩]

وفي التعبير بقوله (بَارَكْنَا حَوْلَهُ) كناية عن كون البركة فيه لأنها إذا كانت حوله فقد تجاوزت ما فيه، ففي هذا التعبير لطيفة التلازم ولطيفة فحوى الخطاب، ولطيفة المبالغة بالتكثير.[١٢٠]

(لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) تعليل للغرض من الإسراء أو غايته، وعبر بـ(من) الدالة على التبعيض لأنه لم يرى إلا بعض الآيات ولأن إراءة جميع آيات الله تعالى لعدم تناهيها مما لا يكاد يقع، ولو قيل: آياتنا، لتبادر الكل.[١٢١]

ولام التعليل لا تفيد حصر الغرض من متعلقها في مدخولها، وإنما اقتصر في التعليل على إراءة الآيات لأن تلك العلة أعلق بتكريم والمُسْرىَ به والعناية بشأنه،لآن إراءة الآيات تزيد يقين الرائي بوجودها الحاصل من قبل الرؤية[١٢٢]

وفي قوله (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) التفات من الغيبة في (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ) إلى التكلم في (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ) لتعظيم البركة والآيات لأنها كما تدل على تعظيم مدلول الضمير تدل على عظم ما أضيف إليه وصدر عنه، كما قيل: إنما يفعل العظيم العظيم.

وقد ذكروا أن لهذا التلوين نكته خاصة وهي أن قوله تعالى: (الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا) يدل على مسيره عليه السلام من عالم الشهادة إلى عالم الغيب فهو بالغيبة أثبت، وقوله (بَارَكْنَا حَوْلَهُ) دل على إنزال البركات فناسب تعظيم المترل، والتعبير بضمير العظمة متكفل بذلك، وقوله (لِنُرِيَهُ) على معنى بَعْدَ الاتصال وَعَزَّ الحضور، فناسب التكلم معه، وأما الغيبة فلكونه صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ليس من عالم الشهادة ولذلك قيل إن فيه إعادة إلى مقام السر والغيبوبة من هذا العالم والغيبة بذلك أليق، وقوله: (مِنْ آيَاتِنَا) عود إلى التعظيم كما سبق الإشارة

إليه، أما الغيبة في قوله: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) على تقدير كون الضمير له تعالى لما هو الأظهر وعليه الأكبر فليطابق قوله تعالى (بِعَبْدِهِ)، ويرشح ذلك الاختصاص بما يوقع هذا الالتفات أحسن مواقعه وينطبق عليه التعليل أتم انطباق، إذ المعنى قرّبه وخصّه بهذه الكرامة لأنه سبحانه مطلع على أحواله عالم باستحقاقه لهذا المقام. (١٢٣) فالالتفات هنا امتاز بلطائف منها: أنه لما استحضرت الذات العلية بجملة التسبيح وجملة الموصولية صار مقام الغيبة مقام مشاهدة فناسب أن ينتقل من الغيبة إلى مقام التكلم. ومنها: الإيماء إلى أنه صلى الله عليه وسلم عند حلوله بالمسجد الأقصى قد انتقل من مقام الاستدلال على عالم الغيب إلى مقام مصيره في عالم المشاهدة، ومنها: التوطئة والتمهيد إلى محل عودة الضمير في قوله: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) فيتبادر عود ذلك الضمير إلى غير من عاد إليه ضمير (لِنُرِيَهُ) لأن الشأن تناسق الضمائر، ولأن العود إلى الالتفات بالقرب ليس من الأحسن فقوله: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) الأظهر أن الضميرين عائدان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولكن جمهور المفسرين يرون أنه عائد إلى الله تعالى، ولعل احتماله للمعين مقصود. (١٢٤)

وقوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وعبد للكفار على تكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الإسراء، أي إنه هو السميع لما يقولون أيها المكذبون البصير بما تفعلونه فيعاقبكم على ذلك.

وتوسيط ضمير الفصل (هُوَ) إما لأن سماعه تعالى بلا أُذن وبصره بلا عين على نحو لا يشاركه فيه تعالى أحد، وإما للإشعار باختصاصه صلى الله عليه وسلم بتلك الكرامة.(١٢٥)

والالتفات في قوله (إِنَّهُ هُوَ) من التكلم إلى الغيبة لتربية المهابة، ولا يخفى ما في ذكر ضمير الشأن من الإيضاح بعد الإبهام وما له من أثر ووقع في النفس.(١٢٦)

وقوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) تعليل إما لإسناد فعل (نُرِيَهُ) إلى فاعله، وإما تعليل لتعليقه بمفعوله، فيفيد أن تلك الإراءة من باب الحكمة، وهي إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، فهو من إيتاء الحكمة من هو أهلها، والتعليل على اعتبار مرجع الضمير إلى النبي صلى الله عليه وسلم أوقع؛ إذ لا حاجة إلى تعليل إسناد فعل الله

تعالى لأنه محقق معلوم وإنما المحتاج للتعليل هو إعطاء تلك الإراءة العجيبة لمن شك المشركون في حصوله ومن يحسبون أنه لا يطبقها مثله. (١٢٧)

وفي قوله: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) قصر صفة على موصوف قصيرًا إضافيا للقلب طريقة تعريف المسند باللام وبضمير الفصل، والغرض من هذا القصر التأكيد، أي هو المدرك لما سمعه وأبصره لا الكاذب ولا المتوهم كما زعم المشركون، وهذا القصر يؤيد عودة الضمير إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه هو المناسب للرد، ولأن المشركين لا ينازعون في أن الله سميع بصير لا على تأويل ذلك بأنه المُسْمِعُ المُبصِرُ لرسوله، الذي كذبتموه فيؤول إلى تتريه الرسول عن الكذب والتوهم. (١٢٨)

وانظر إلى دقائق التعبير القرآني العجيب في هذه الآية؛ فالسياق ينتقل في آية الافتتاح من صفة التسبيح لله (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا) إلى صفة التقرير من الله (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) إلى صفة الوصف (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وفقا لدقائق الدلالات التعبيرية بميزان دقيق حساس، فالتسبيح يرتفع موجها إلى ذات الله سبحانه وتقريرًا لقصد من الإسراء يجئ منه تعالى نصا، والوصف بالسمع والبصر يجيء في صورة الخبر الثابت لذاته الإلهية، وتجتمع هذه الصيغ المتخلفة في الآية الواحدة لتؤدي دلالاها بدقة كاملة (١٢٩) فسبحان من هذا كلامه.

المبحث الرابع: البلاغة القرآنية في آية سورة الكهف رقم ١

قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا) ومناسبة هذه الآية لما قبلها هي: أنه لما ختمت سورة الإسراء بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالحمد عن التتره عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك، بُدئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص منبها بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب العظيم الذي عجز عن معارضته الأولون والآخرون. (١٣٠)

فمناسبة وضعها بعد سورة الإسراء هي افتتاح تلك بالتسبيح وهذه بالتحميد،

وأيضًا تشابه ختم الإسراء وافتتاح الكهف فإن في كل منهما حمدًا.

وسبب نزولها: هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سألته قريش عن المسائل الثلاث الروح والكهف وذي القرنين حسبما أمرهم بهن اليهود، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، غدًا أخبركم جواب سؤالكم ولم يقل إن شاء الله، فعاتبه الله عزوجل بأن استمسك الوحي عنه خمسة عشر يوما، فقال أهل مكة أن محمدًا قد تركه ربه، وقال بعضهم: قد عجز عن أكاذيبه إلى غير ذلك.

فشق ذلك على رسول الله وبلغ منه، فلما انقضى الأمر الذي أراد الله عتاب محمد عليه، جاء الوحي من الله بجواب الأسئلة وغير ذلك فترلت هذه السورة.(١٣١)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) موقع الافتتاح بهذا التحميد كموقع الخطبة يفتتح بها الكلام في الغرض المهم، والحمد مبتدأ، ولله خبره، وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر التي تنصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار مثل حمدًا وشكرًا، والتقدير أحمد حمدًا، والعدول بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء أبلغ؛ للدلالة على أن ثبوت الحمد لله تعالى لذاته لا لإثبات مثبت، وأن ذلك أمر دائم مستمر لا حادث متجدد.(١٣٢)

وأل في (الْحَمْدُ) للجنس ومعناه الإشارة إلى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع.(١٣٣)

ولم تفتتح السورة بصيغة الأمر بأن يقال: احمدوا الله، وإنما افتتحت بصيغة الخبر (الْحَمْدُ لِلَّهِ) لأن الأمر يقتضي التكليف، والتكليف قد تنفر منه النفوس أحيانا، فأراد سبحانه أن يؤنس قلوبهم ويؤلف قلوبهم فساق لهم الخطاب بصيغة الخبر، ترقيقا بهم حتى يديموا الإصغاء لما سيلقيه عليهم من تكاليف.(١٣٤)

والحكمة في بدأ هذه السورة ونظائرها بالحمد لله، دون (المدح لله) أو (الشكر لله) هو أن المدح أعم من الحمد، والحمد أعم من الشكر، أما كون المدح أعم من الحمد فلأن المدح يحصل للعاقل وغير العاقل، قد يمدحون اللؤلؤ على حسن شكله، كما يمدح الرجل العاقل على فضائله.

أما الحمد فإنه لا يحصل إلا للفاعل المختار على ما يصدر منه من الإنعام والإحسان.

وأما كون الحمد أعم من الشكر فلأن الحمد عبارة عن تعظيم الفاعل لأجل ما صدر عنه من الإنعام سواء أكان ذلك الإنعام واصلا إليك أم إلى غيرك، وأما الشكر فهو عبارة عن تعظيمه لأجل إنعام وصل إليك، فثبت أن المدح أعم من الحمد وأن الحمد أعم من الشكر.(١٣٥)

وجملة (الحمد لله) مفيدة للقصر، فقد أفادت قصر صفة الحمد على كونها لله سبحانه وتعالى ونفتها عن كل ما عداه قصرًا حقيقيا تحقيقيا طريقه تعريف المسند بأل الجنسية، بمعنى أن المستحق لجميع المحامد ولكافة ألوان الثناء هو الله تعالى.

وإنما كان الحمد مقصورًا في الحقيقة على الله لأن كل ما يستحق أن يقابل بالثناء فهو صادر عنه ومرجعه إليه، إذ هو الخالق لكل شيء وما يقدم إلى بعض الناس من حمد جزاء إحسانهم فهو في الحقيقة حمد لله، لأنه سبحانه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم عليه. (١٣٦)

هذا وفي القرآن الكريم خمس سور مكية افتتحت بالحمد لله ولكن لكل سورة منهج خاص في بيان أسباب ذلك الحمد؛ فسورة الكهف أثبتت الحمد لله لأنه أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجًا، فتراها تهتم بإبراز التربية التشريعية التي تهذب الروح وتهدي الفكر. (١٣٧)

(الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ) أجرى على اسم الجلالة الوصف بالموصول تنويها بمضمون الصلة، ولما يفيده الموصول من تعليل الخبر، والإشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاقه الحمد وإيذان بعظم شأن التتريل الجليل.(١٣٨)

(أَنزَلَ) ولما كان المراد وصف جملة الكتاب بالإعجاز من غير نظر إلى التفريق والتدريج عبر بالإنزال دون التتريل فقال (أَنزَلَ).

(عَلَىٰ عَبْدِهِ) ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بوصف العبودية لله تقريبًا لمترلته وتنويه به بما في إنزال الكتاب عليه من رفعة قدره كما في قوله (١٣٩)(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ) وعدل عن الخطاب بأن يقول: (عليك) كما قال (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ)(١٤٠)وقال (عَلَىٰ عَبْدِهِ) لما في ذلك من الوصف بالعبودية

والإضافة إليه سبحانه من الإعلام بتشريفه صلى الله عليه وسلم والتنبيه على علة تخصيصه بالإنزال عليه، والتنبيه على بلوغه عليه السلام إلى أعلى معارج العبادة، وتشريف له أيّ تشريف، وإشعار بأن شأن الرسول أن يكونعبدًا للمرسل.(١٤١)

(الْكِتَابَ) المراد بالكتاب الكامل الحقيقي بأن يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الأفراد في حيازة كمالات الجنس، كأن ما عداه من الكتب خارجا منه بالنسبة إليه، أو المعنى: أنه الكتاب الكامل الغني عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيقي باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن أو جميع المترل. (١٤٢)

(وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ۜ) هذه الجملة معترضة بين الكتاب وبين الحال منه وهو (قَيِّمًا) والواو اعتراضية ويجوز كون الجملة حالا والواو حالية.

والعوج بكسر العين وفتحها، وبفتح الواو حقيقته: انحراف جسم ما عن الشكل المستقيم فهو ضد الاستقامة، ويطلق مجازًا على الانحراف عن الصواب والمعاني المقبولة المستحسنة.(١٤٣)

والذي عليه المحققون من أئمة اللغة أن مكسور العين ومفتوحها سواء في الإطلاقين الحقيقي والمجازي، وقيل مكسورة العين تختص بالإطلاق المجازي وعليه درج صاحب الكشاف وغيره. (١٤٤)

وعن ابن السكيت أن المكسورة أعم تجيء في الحقيقة والمجازي وأن المفتوح خاص بالمجازي.(١٤٥)

ونكر (عِوَجًا) للعموم ليعم جميع أنواعه فالنكرة في سياق النفي تفيد العموم، والمقصود من هذه الجملة المعترضة أو الحالية إبطال ما زعمه المشركون من قولهم: افتراه، وأساطير الأولين، لأن تلك الأمور لا تخلو من عوج، وضمير (الله) عائد على الكتاب، وعدى الجعل باللام دون (في) لأن العوج المعنوي يناسبه حرف الاختصاص دون حرف الظرفية لأن الظرف من علائق الأجسام، وأما معنى الاختصاص فهو أعم. (١٤٦)

والآية على التقديم والتأخير إذ التقدير: أنزل على عبده الكتاب قيما و لم يجعل له عوجا، لأن من عادة البلغاء أن يقدموا الأهم. (١٤٧)

وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع أن حقه التقديم عليه ليفصل به قوله (وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ۜ) أي شيئا من العوج بنوع اختلال في النظم وتنافي في المعنى أو انحراف عن الدعوة إلى الحق (١٤٨).

فقد وصف الكتاب بوصفين لأن الشيء يجب أن يكون كاملاً في ذاته ثم يكون مكملا لغيره فقال: (وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا) إشارة إلى كونه كاملا في ذاته، وقال (قَيِّمًا) إشارة إلى كونه مكملا لغيره. (١٤٩)

وفائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة في (قَيِّمًا) هي التأكيد فرب مستقيم في الظاهر لا يخرج عن أدنى عوج في الحقيقة.

المبحث الخامس: البلاغة القرآنية في آية سورة الفرقان رقم ١

قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)

ومناسبة هذه السورة لما قبلها هي : أنه لما ذكر جل وعلا في آخر السورة السابقة وجوب متابعة المؤمنين للرسول صلى الله عليه وسلم ومدح المتابعين وحذر المخالفين، افتتح سبحانه هذه السورة بما يدل على تعاليه جل شأنه عما سواه في ذاته وصفاته أفعاله، وعلى كثرة خيره تعالى ودوامه، وأنه أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، إطماعًا في خيره، وتحذيرًا من عقابه جل شأنه، وفي هذه السورة أيضًا من تأكيد ما في السابقة من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ما فيها.(١٥٠)

ومعنى (تَبَارَكَ)أي تعالى جل شأنه في ذاته وصفاته وأفعاله على أتم وجه وأبلغه لما يشعر به إسناد صيغة التفاعل إليه تعالى، وهذا الفعل لا يسند إلى غيره تعالى؛ لاستقلاله بالدلالة على الكمال وتحققها بالفعل والإشعار بالتعجب المناسب للإنشاء، والأنباء عن نهاية التعظيم، لم يجز استعماله في حق غيره تعالى. (١٥١)

وفي التعبير بقوله (تَبَارَكَ) إشعار بكثرة ما يفيضه – سبحانه- من خيرات وبركات على عباده وأن هذا العطاء ثابت مستقر، وافتتاح هذه السورة على هذا النسق افتتاح بديع فيه براعة الاستهلال، (الَّذِي) عبر بالاسم الموصول هنا لكون الصلة من صفات الله في نفس الأمر وعند المؤمنين، وقال أهل اللغة أن كلمة الذي موضوعة للإشارة إلى الشيء عند محاولة تعريفه بقضية معلومة، وعلى هذا يتوجه إشكال؛ وهو أن القوم ما كانوا عالمين بأنه سبحانه هو الذي نزل الفرقان، فكيف حسن ههنا لفظ الذي؟ والجواب هو أن الكافرين وإن كانوا ينكرون ذلك لكنهم يعرفون أن الرسول أعلنها، أو أنه لما قامت الدلالة على كون القرآن معجزًا أظهر بحسب الدليل كونه من عند الله، فلقوة الدليل وظهوره أجراه سبحانه وتعالى مجرى المعلوم.

وقال بعضهم لا يشترط أن تكون الصلة معلومة لكل سامع بل يكفي أن تكون معلومة للسامع المخاطب، والمخاطب بها هنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم عالم بثبوتها للموصول.(١٥٢)

أو أن السر في التعبير بالاسم الموصول لإبراز صلته سبحانه وتعالى وإظهارها في هذا المقام الذي هو مقام إثبات صدر رسالته التي أوحاها إلى نبيه صلى الله عليه وسلم.(١٥٣)

(نَزَّلَ الْفُرْقَانَ)وعبر بـ (نَزَّلَ) بالتضعيف لأن القرآن نزل مفرقا في أوقات متعددة.

(والْفُرْقَانَ) هو القرآن وهو في الأصل مصدر فرّق، وجعل علما بالغلبة على القرآن لأنه فرّق بين الحق والباطل.

وإيثار اسم الفرقان بالذكر هنا للإيماء إلى أن ما سيذكر من الدلائل على الوحدانية وإنزال القرآن دلائل قيمة تفرق بين الحق والباطل.(١٥٤)

وفي وصف نفسه بتنزيل الفرقان الفارق بين الحق والباطل بعد قوله (تَبَارَكَ) دليل على أن كل البركة والخير إنما هو في القرآن.

(عَلَىٰ عَبْدِهِ) محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا أحد أحق منه بإضافته إلى ضميره الشريف، لأنه خالص له لا شائبة لغيره فيه أصلا، ولم يحز مخلوقا ما حاز من طهارة الشيم وارتفاع الهمم. (١٥٥)

وهذه صفة مدح وثناء، لأنه إضافه إلى عبوديته كما وصفه بها في أشرف أحواله، وهي ليلة الإسراء، وفي مقام الدعوة إليه، وكذلك هنا عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه. (١٥٦)

أو وصف بالعبودية هنا تقريب له وتمهيد لإبطال طلبهم، وأيضا في هذا الوصف تشريف له بالعبودة المطلقة وتفضيله بها على جميع الأنبياء، فإنه لم يسم أحد مهم بالعبد مطلقا بل نسبه أو ذكر اسمه مثل قوله(عَبْدَهُ زَكَرِيَّا) ألا محمد فوصفه بالعبودية المطلقة، وللتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبدًا للمُرسِل.(١٥٧) والوصف بالعبودية في هذا الموضع له دلالته على رفعة هذا المقام، وأنه أرفع ما يرتفع إليه بشر من بني الإنسان، كما أن فيه تذكيرًا خفيًا بأن مقام البشرية حين يبلغ مداه لا يزيد على أن يكون مقام العبودية لله، ويبقى مقام الألوهية منفردًا بالجلالة متجردًا عن كل شبهة شرك أو مشابهة، ذلك أن مقام الوحي والتلقي كان مترلة لبعض أتباع الرسل من قبل منها نشأت أساطير النبوة لله، أو الصلة القائمة على غير الألوهية والعبودية، ومن ثم يحرص القرآن على توكيد صفة العبودية في هذا المقام بوصفها أعلى أفق يرتفع إليه المختارون من بني الإنسان. (١٥٨)

(لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)أي غاية التتزيل (لِيَكُونَ) أي العبد أو الفرقان، والأحسن جعل الضمير هنا للنبي صلى الله عليه وسلم لأن صدور الإنذار منه حقيقة، ومن القرآن مجاز، والحمل على الحقيقة أولى، ولكونه أقرب مذكور.(١٥٩)

(لِلْعَالَمِينَ) متعلق بـ(نَذِيرًا) وإنما قدم لأجل الفواصل (نَذِيرًا) النذير المخبر بسوء يقع، وهو فعيل بمعنى مُفْعل بصيغة اسم الفاعل مثل: الحكيم، والاقتصار في

وصف الرسول هنا على النذير دون البشير لأن المقام هنا لتهديد المشركين، فكان مقتضيا لذكر النذارة دون البشارة، وفي ذلك اكتفاء لأن البشارة تخطر ببال السامع عند ذكر النذارة. (١٦٠) أو أنه اقتصر على النذارة للإشارة إلى البشارة بلفظ (تَبَارَكَ) ولأن المقام لها.(١٦١)

وفي ذكر النذارة دون البشارة سلوك براعة الاستهلال وإيذان بأن هذه السورة مشتملة على ذكر المعاندين المتخذين لله تعالى –ولدًا أو شريكًا.(١٦٢)

وقوله تعالى (تَبَارَكَ) يدل على كثرة الخير والبركة، فالمذكور عقيبه لابد وأن يكون سببًا لكثرة الخير والمنافع، والإنذار يوجب الغم والخوف، فكيف يليق ذكره بهذا الموضوع؟

والجواب عن هذا: أن الإنذار يجري مجرى تأديب الولد كما أنه كلما كانت المبالغة في تأديب الولد أكثر كان الإحسان إليه أكثر، لما أن ذلك يؤدي في المستقبل إلى المنافع العظيمة فكذا ههنا كما كان الإنذار كثيرًا كان رجوع الخلق إلى الله أكثر، وكانت السعادة الأخروية أتم وأكثر، وهذا كالتنبيه على أنه لالتفات إلى المنافع العاجلة، لأنه تعالى لما وصف نفسه بأنه معطي الخيرات الكثيرة لم يذكر إلا منافع الدين، ولم يذكر منافع الدنيا البتة.(١٦٣)

وفي هذه الآية جمع بين التنوية بشأن القرآن وأنه منزل من الله، وتنويه بشأن النبي صلى الله عليه وسلم ورفعة منزلته عند الله وعموم رسالته.

المبحث السادس: البلاغة القرآنية في آية سورة الزمر رقم ٣٦

قال تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ).

وسبب نزول هذه الآية هو أن قريشًا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نخاف أن تخبلك آلهتنا، وإنا نخشى عليك مضرتها لعيبك إياها، ويروى أنه بعث خالدًا إلى العزّى ليكسرها فقال له سادنها: أحذركها يا خالد وإن لها لشدة لا يقوم لها شيء، فعمد خالد إليها فهشم أنفها، فنزلت هذه الآية.(١٦٤)

ومناسبة هذه الآية لما قبلهما هي أنه لما فهم من قوله: (وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ

جَاءَهُ ﴾ أن المشركين يكذبونه، وكان من طبع الآدمي الاهتمام بمثل ذلك، ولاسيما إذا كان المكذب كثيرًا وقويًا وكان من المعلوم أنهم يحذرونه آلهتهم ويحذرهم إلهه، أحسن كل الحسن في قوله مقرًا للكفاية غاية الإقرار، ومنكرًا لنفيها كل الإنكار(١٦٥)(أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ).

والاستفهام في قوله (أَلَيْسَ اللَّهُ) للتقرير، أي هو كاف عبده(١٦٦) وقيل للإنكار ونفي لعدم كفايته سبحانه على أبلغ وجه. (١٦٧)

والراجح أنه للتقرير ثم يردفه تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيته.

وإظهار لفظ الجلالة لتربية المهابة وتقوية التقرير. (١٦٨)

(بِكَافٍ) يحتمل أن يكون غير مهموز من الكفاية كقولك يجازى في يجزي، وهو الأبلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة.

والمباراة، وأن يكون مهموزًا من المكافأة وهي المجازاة (١٦٩)و قد اقتضى المقام هنا دخول حرف الجر (الباء) على خبر ليس (كَافٍ) ولهذا الدخول (الجائز نحويا)، فائدتان. أحدهما: تعود على المعنى والأخرى على اللفظ، أما التي من حيث المعنى فهي توثيق الصلة بين المسند إليه والمسند، ومحال أن يكون دخولها وعدم دخولها سواء في النظم الحكيم، هذا وإن جاز في كلام عادي البشر لم يجز بحال في كتاب الله.

وأما التي من حيث اللفظ فإن الباء لو لم تكن هناك لوجب ظهور نصب اسم ليس هكذا: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافيا عَبْدَهُ) ولكان في هذا تطويل بين كفاية الله وبين من أراد الله كفايته، تطويل من حيث اللفظ وتطويل من حيث الزمن، وهذا من دقائق الأسرار في كتاب الله.(١٧٠)

وحذف المفعول الثاني لكاف لظهور أن المقصود كافيك أذاهم (عبده) ووقع التعبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بالاسم الظاهر وهو (عبده) دون ضمير الخطاب، لأن المقصود توجيه الكلام إلى المشركين، وفي استحضار الرسول صلى الله عليه وسلم بوصف العبودية وإضافته إلى ضمير الجلالة معنى عظيم من تشريفه

بهذه الإضافة، وتحقيق أنه غير مُسْلِمه إلى أعدائه.(١٧١)

وقوله (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) تمهيد لقوله (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ) قدم عليه لتعجيل مساءة المشركين بذلك، ويتتبع ذلك تعجيل مسرة صلى الله عليه وسلم بأن الله ضامن له الوقاية، ويجوز أن يكون أصل النظم (ويخوفونك بالذين من دونه والله كافيك) فغير مجرى النظم لهذا الغرض، ولك أن تجعل نظم الكلام على ترتيبه في اللفظ فتجعل جملة (أليس الله بكاف عبده، استئنافا، وتصير جملة (ويخوفونك....) حالاً (١٧٢) (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ) في تأخير هذه الجملة عن قوله(أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ) دليل على رفق الله سبحانه وتعالى برسوله صلى الله عليه وسلم، فلم يذكر له تخويف خصوم الدعوة له إلا بعد أن قدم بين يديه كفايته له ليقع هذا الإخبار بالتخويف من نفسه موقعا هينا. والواو في (وَيُخَوِّفُونَكَ) الأخرى أن تكون واو الحال لأنه لا يصح أن تكون عاطفة على ما قبلها لاختلاف الجملتين في الإنشائية والخبرية كما لا يصح قطع الجملتين بعدها بخلوها من الواو، وإلا اختل نظم الكلام. (١٧٣)

والخطاب في (وَيُخَوِّفُونَكَ) للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو التفات من ضمير الغيبة العائد على (عَبْدَهُ) إلى الخطاب ونكتة هذه الالتفات هو تمحيص قصد النبي بمضمون هذه الجملة بخلاف: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ).

(بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ) هم الأصنام، وعبر عنهم بموصول العقلاء لكثرة استعمال التعبير عنهم في الكلام بصيغ العقلاء و(مِن دُونِهِ) صلة الموصول، على تقدير محذوف يتعلق به المجرور دل عليه السياق تقديره: اتخذوهم من دونه أو عبدوهم من دونه.(١٧٤)

وهذا تهكم بهم؛ لأنهم خوفوه بما لا يقدر على نفع ولا ضرر.

ولما أطنب في شرح الوعيد والوعد والترغيب والترهيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل الحق فقال(وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) وهو استئناف مسوق لتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته وتقرير لمضمون الكلام قبله، ودخول (من) على هاد لاستغراق النفي وشموله لجميع أفراد المنفي.(١٧٥)

ويجوز أن تكون هذه الجملة اعتراض بين قوله (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) وقوله

(أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ) قصد به أن ضلالهم داء عياد، لأنه ضلال مُكَوَّنٌ في نفوسهم وجبلتهم قد ثبتته الأيام، ورسخه تعاقب الأيام فران بغشاوته على ألبابهم فلما صار ضلالهم كالمجبول المطبوع أسند إيجاده إلى الله كناية عن تعسر أو تعذر اقتلاعه من نفوسهم، وأريد من نفي الهادي من قوله:(فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) نفي حصول الاهتداء فكنى عن عدم حصول الهدى بانتفاء الهادي، لأن عدم الاهتداء يجعل هاديهم كالمنفي.

وفي سورة الأعراف (مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ)(١٧٦)

والآيتان متساويتان في إفادة نفي جنس الهادي إلا أن إفادة ذلك هنا بزيادة (من) تنصيصا على نفي الجنس، وفي آية الأعراف ببناء اسم لا (هَادِيَ) على الفتح، فإن بناء اسمها على الفتح مشعر بأن المراد نفي الجنس نصا، والاختلاف بين الأسلوبين تفنن في الكلام، وهو من مقاصد البلغاء.(١٧٧) وتقديم (له) على (هَادٍ) للاهتمام بضميرهم في مقام نفي الهادي لهم لأن ضلالهم المحكي هنا بالغ في الشناعة، إذ بلغ بهم حد الطمع في تخويف النبي بأصنامهم في حال ظهور عدم اعتداده بأصنامهم لكل متأمل من حال دعوته، وإذ بلغ بهم اعتقاد مقدرة أصنامهم مع الغفلة عن قدرة الرب الحق بخلاف آية الأعراف فإن فيها ذكر إعراضهم عن النظر في ملكوت السماوات والأرض، وهو ضلال دون ضلال التخويف من يأس أصنامهم.(١٧٨)

المبحث السابع: البلاغة القرآنية في آية سورة النجم رقم ١٠.

قال تعالى: (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ)

هذه الآية ذكرت في سياق الآيات التي تحدثت عن رحلة الإسراء وما رأه صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة.

(فَأَوْحَىٰ) ضمير أوحى عائد إلى الله تعالى، وحذف الفاعل لكونه معلومًا مدلولا عليه سابقا بقوله (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) والمعنى: فأوحى الله إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم وهو كاف في هذا المقام لأن المقصود إثبات الإيحاء لإبطال إنكارهم إياه.(١٧٩)

أو هو عائد إلى جبريل وحذف الفاعل لكونه معلوما يفهم من السياق وقرائن

الأحوال لأن جبريل صاحب الوحي (إِلَىٰ عَبْدِهِ) المقصود محمد صلى الله عليه وسلم وإضماره من غير تقدم ذكره صريحًا لكونه معلومًا مما تقدم في آخر سورة الشورى، من أن كلام الله يكون وحيا بواسطة رسول يوحي بإذن الله سبحانه، والمقام يناسب الإضمار، لأن الكلام هو الوحي الخفي. (١٨٠)

وإيثار التعبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية للتشريف والتكريم وللإشارة إلى أنه لم يكن أحد ليستحق هذا الأمر العظيم غيره، لأنه لم يتعبد فقط لأحد غير الله، وكل من عاده حصل منهم تعبد لغيره في الجملة، فكان أحق الخلق بهذا الوصف. (١٨١)

(مَا أَوْحَىٰ) ما اسم موصول بمعنى الذي، وإبهام الموحي به للتهويل والتعظيم والتفخيم أي تفخيم الوحى الذي أوحى به إليه بتفخيم شأنه وإعلاء قدره حتى لكأنه لا تحيط به عبارة، ولا يحده الوصف لأنه من الأمور العظام وشبيه بهذا التعبير(١٨٢) قوله (فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ)(١٨٣) وقوله (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ)(١٨٤)

المبحث: الثامن البلاغة القرآنية في آية سورة الحديد رقم ٩

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ).

ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية جانبًا من مظاهر فضله على نبيه صلى الله عليه وسلم وعليهم، فقد ذكر سبحانه توطئة ما يوجب الإيمان، وهو دعاء الرسول إياهم للإيمان، ذكر أنه تعالى هو المترل على رسوله صلى الله عليه وسلم ما دعا به إلى الإيمان وذلك الآيات البينات المعجزات فقال (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ .....) (١٨٥)

(هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ) هذه الآية استئناف ثالث انتقل به الخطاب إلى المؤمنين، والخطاب هنا وإن كان صالحا لتقرير ما أفادته جملة (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ) (١٨٦) ولكن أسلوب النظم وما عطف على هذه الجملة يقتضيان أن تكون استئنافا انتقاليا هو من حسن التخلص إلى خطاب المسلمين، ولا تفوته الدلالة على تقرير ما قبله لأن التقرير يحصل من

انتساب المعنيين، معنى الجملة السابقة، ومعنى الجملة الموالية، فهذه الجملة بموقعها ومعناها وعلتها وما عطف عليها أفادت بيانا وتأكيدًا وتعليلا وتزييلا وتخلصها لغرض جديد (١٨٧) وفي قوله : (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ) قصر صفة وهي نزول الآيات على موصوف وهو الله سبحانه وتعالى قصرًا حقيقيا تحقيقيا طريقه ضمير الفصل أي هو وحده لا غيره الذي ينزل الآيات.

وعبر بـ (ينزل) دون (أنزل) لأن القرآن نزل على سبيل التدرج والمولاة بحسب الحاجة.

(عَبْدِهِ) أي محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو أحق الناس بهذا الوصف لأنه ما تعبد لغير مولاه قط فاصطفاه الله لأجل هذه العبودية وخصه بإنزال القرآن.

(آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) أي علامات هي من ظهورها حقيقة بأن يرجع إليها ويتقيد بها، وتنكيرها للعموم لتشمل القرآن والمعجزات والإخبار عما خفى وأخفى من الكتب السماوية السابقة.

ووصفت بكونها بيانات لوضوحها وبعدها عن الزيغ والميل (لِّيُخْرِجَكُم) علة لإنزال الآيات أي يخرجكم الله أو العبد وحذف الفاعل لكونه معومًا يفهم من سابق الكلام.

(مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) في لفظ الظلمات والنور استعارتان تصريحيتان فقد شبه الكفر بالظلمات والإيمان بالنور بجامع الاهتداء في كل تم حذف المشبه واستعير لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي لفظ (يخرج) فإن الرسول لم يخرج الناس من الظلمات الحقيقية إلى النور الحقيقي، وإنما أخرجهم من الكفر إلى الإيمان.

(وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) أكد الخبر بإن واللام وإسمية الجملة لأن المشركين في إعراضهم عن دعوة الإسلام قد حسبوها إساءة لهم وآلهتهم فأكد لهم الكلام لبيان أنه ما أمرهم بما أمرهم به ونهاهم عما نهاهم عنه إلا رأفة ورحمة بهم.

وقدم الجار والمجرور (بِكُمْ) لأن عظيم رحمته بهذه الأمة موجب لعد نعمته على غيرنا عدما بالنسبة إلى نعمته علينا (١٨٨) و(رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)، من أمثلة المبالغة في

الإنصاف بالرأفة وهي كراهية إصابة الغير بضرر و (الرحيم) من الرحمة وهي محبة إيصال الخير إلى الغير.

ووصف نفسه تعالى بالرحمة تأنيسا لهم فهي وعد وتأنيس مؤكد. (١٨٩)

وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة جاء مبينا في قوله تعالى في سورة الطلاق (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا* رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ.....)(١٩٠)

فبينت آية الطلاق أن آية الحديد من العام المخصص، وأنه لا يخرج بهذا القرآن العظيم من الظلمات إلى النور إلا من وفقهم الله للإيمان والعمل الصالح، وقوله في الحديد: (لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ...) أي بشرط الإيمان والعمل الصالح. (١٩١)

المبحث : التاسع: البلاغة القرآنية في آية الجن رقم ٩١

قال تعالى (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا).

لما كان من يدعو سيده وينقطع إليه عاملا للواجب عليه اللائق بأمثاله، لا ينكر عليه ولا يعجب منه إنما يعجب ممن دعا غير سيده أو مال إليه أدنى ميل فيسأل عن سببه قال معجبا من القاسطين من الجن والإنس(١٩٢) (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ...) وهذه الجملة معطوفة على قوله (أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ) لاتفاق الجملتين في الخبرية لفظا ومعنى ووحدت مناسبة بين الجملتين وهي الاتحاد في المسند والمسند إليه في الجملتين على تقدير أن الضمير في (كَادُوا) للجن.

وقيل إنها معطوفة على قوله (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) على قراءة الفتح وأما على قراءة الكسر فعلى الاستئناف (١٩٣)

وهذا الكلام يحتمل أن يكون خطابا من الله تعالى، ويحتمل أن يكون إخبارًا عن الجن(١٩٤)، فإن كان خطابا من الله تعالى فقد يكون حكاية عن حال هذا النفر من الجن حين سمعوا القرآن العجيب فأخذوا ودهشوا، وتكأكأوا على

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم على بعض، والمعنى: (وأوحى إليّ أنه لما قام عبد الله)أي أوحى الله إليّ اقتراب المشركين من أن يكونوا لُبدًا على عبد الله لما قام يدعو ربه.

ويحتمل أن يكون من مقولات الجن، فهي حكاية منهم عن مشركي العرب الذين كانوا يجتمعون فئات حول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي أو هو يتلو القرآن كما في سورة المعارج (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ* عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) (١٩٥).

ويكون قول الجن هذا لقومهم للتعجيب من أمر هؤلاء المشركين (١٩٦) والراجح أن هذا من كلام الجن لا من جملة الموحي؟ لأن الرسول لا يليق أن يحكي عن نفسه بلفظ المغايبة، كما أنه هو الأقرب لمدلول الآية، لاتساقه مع العجب والدهشة.(١٩٧)

وضمير (إنه) ضمير الشأن والقصة وقد أفاد ذكره التفصيل والتبيين بعد الإجمال والإبهام، وجملة (لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ) الخ.. خبره

(عَبْدُ اللَّهِ) أي النبي صلى الله عليه وسلم ووضع الاسم الظاهر موضع الضمير، إذ مقتضى الظاهر أن يقال: وأنه لما قمت تدعو الله كادوا يكونون عليك، أو لما قمتُ ادعوا الله يكادون يكونوا عليّ، تكريما للنبي صلى الله عليه وسلم حيث وصفه بأنه عبد الله، لما في الإضافة من التشريف والتكريم، أو ذكر بلفظ العبودية للتواضع.

وسمى محمد بعبد الله و لم يذكر بلفظ رسول الله أو نبي الله أو الضمير، لأنه إذا كان هذا الكلام من جملة الموحى، فاللائق بتواضع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يذكر نفسه بالعبودية والتواضع والتذلل، أو لأن المعنى أن عبادة عبد الله لله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستكره حتى يكونوا عليه لبدًا (١٩٨)

ومعنى (قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) قام يعبده وهو قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجن فاستمعوا لقراءته صلى الله عليه وسلم (١٩٩)، وعلى هذا المعنى يكون قوله (قَامَ) مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث ذكر الجزء وهو القيام وأراد الكل وهو

الصلاة، ونكتة التعبير عن الصلاة بالقيام هو أن القيام أعظم أركان الصلاة (كَادُوا يَكُونُونَ) الضمير عائد إلى المشركين المنبئ عنه المقام غيبة وخطايا، ابتداء من قوله (أَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ....) إلى قوله (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)(٢٠٠)

أو أن الضمير للجن وهو الراجح، والمعنى على الأول: وأنه لما قام رسول الله يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادقم الآلهة كاد المشركون من تزاحمهم عليه يكون كاللبد لا لكي ينتفعوا بما يسمعون ولكن لكي يطفئوا نور الله بأفواههم.

والمعنى على الثاني: وأنه لما قام عبد الله يدعو ربه اذدحم الجن حوله وهو يصلي ويقرأ القرآن تعجبًا مما شاهدوه من صلاته ومن قراءته.

(لبدًا) بكسر اللام وفتح الموحدة اسم جمع لِبْدة، وهي ما تلبد بعضه على بعض، ومنه لِبْدة الأسد للشعر المتراكم في رقبته. (٢٠١)

والكلام على التشبيه، حيث شبه التفافهم وتراكمهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبد وهو الشعر المتراكم الملتف بعضه فوق بعض بجامع الالتصاق والالتحام في كل.

المبحث العاشر: البلاغة القرآنية في آية سورة العلق رقم ١٠

قال تعالى: (عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ)

وسبب نزول هذه الآية أن أبا جهل ــ لعنه الله ــ قال: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم قال: فوالذي يحلف به لئن رأيته لأطأن عنقه، ثم إنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة فنكص على عقبيه فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم فقال: إن بيني وبينه لخندق من نار وهولا شديدًا. (٢٠٢)

ولا مانع أن يكون نزولها في أبي جهل ثم تعم الكل.

ولما كان أفحش ما يكون صد العبد عن خدمة سيده، قال معبرًا بالعبودية منكرًا للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال العبودية (٢٠٣) (عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ) ولا يفهم معنى هذه الآية ألا بفهم معنى الآية السابقة لها لارتباطها في المعنى

وهي قوله تعالى (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ) والهمزة للاستفهام التعجبي ثم يتبعه التقبيح والتشنيع لحاله، للإيذان بأن حاله من الشناعة والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويفضي منها العجب (٢٠٤).

وقوله (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ* عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ) هو المقصود من الردع الذي أفاده حرف (كلا) فهذه الجملة مستأنفة استئنافًا ابتدائيًا متصلاً باستئناف جملة (إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ)

والرؤية هنا يجوز أن تكون علمية بمعنى علم، أي أعلمت الذي ينهى عبدًا، والمستفهم عنه هو ذلك العلم والمفعول الثاني لـ(أرأيت) محذوف دل عليه قوله في آخر الجمل (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ) والمعنى: أعجب ما حصل لك من العلم قول الذي ينهى عبدًا إذا صلى.

ويجوز أن تكون الرؤية بصرية لأنها حكاية أمر وقع في الخارج والخطاب في: (أرأيت) لغير معين (٢٠٥)

وصيغة المضارع (ينهى) لاستحضار الحالة العجيبة السابقة، والمنهي عنه محذوف يغني عنه تعلق الظرف بفعل (نهى) أي نهاه عن صلاته.(٢٠٦)

ونكر (عبدًا) للدلالة على التفخيم والتعظيم والمبالغة في تقبيح الناهي واستعظام النهي وتأكيد التعجب كأنه قال: هو عبد لا يكتنه كنه إخلاصه في العبودية ولا يوصف إخلاصه بالكليه أو أن التنكير للدلالة على أنه كامل العبودية(٢٠٧) وفي (عبده) التفات من الخطاب في (أرأيت) إلى الغيبة في (عبدًا) لأن المخاطب هو النبي صلى الله عليه وسلم والمنهي عن الصلاة هو (عبدًا) وكان الأصل أن يقال: (أرأيت الذي ينهاك إذا صليت) ويبين الإمام الفخر الرازي الصرفي التعبير عن النبي ﷺ بلفظ (عبدًا) مذكورة دون الضمير، مبينًا سر هذا الالتفات

فيقول: قال (ينهى عبدًا) و لم يقل ينهاك، وفيه فوائد هي:

١ــ أن التنكير في (عبدًا) يدل على كونه كاملاً في العبودية كأنه يقول: إنه

عبد لا يفي العالم بشرح بيانه وصفة إخلاصه في عبوديته.

٢ــ أن هذا أبلغ في الذم لأن المعنى: أن هذا دأبه وعادته، فينهى كل من يرى.

٣ــ أن هذا تخويف لكل من نهى عبدًا عن الصلاة، لكن لو قال: ينهاك إذا صليت لكان الوعيد مقصورًا على أبي جهل وحده لاختصاص إيقاع النهي منه على الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لما قام (عبدًا) صار الوعيد عامًا في كل من ينهى عبدًا عن طاعة الله.

٤ــ كأن الحق يقول: أيظن أبو جهل أنه لو لم يسجد محمد لي لا أجد ساجدًا غيره، إن محمدًا عبد واحد ولي من الملائكة المقربين ما لا يحصهم إلا أنا وهم دائمًا في الصلاة والتسبيح.

٥ــ أنه تفخيم لشأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إنه مع التنكير معروف،[٢٠٨] واستعمل القرآن الكريم (إذا) التي تفيد اليقين دون (إن) التي للشك للدلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم مستمر ومواظب على صلاته غير مبال بهذا النهي والتهديد لأنه لا يخاف إلا الله تعالى.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات ،والصلاة والسلام على المبعوث رحمة وهداية، إمام المتقين وأفصح خلق الله أجمعين، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين

أما بعد

فقد حاولت قدر استطاعتي أن استظهر البلاغة القرآنية الواردة في آيات وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالعبودية ،لنقف على سر من أسرار إعجاز القرآن، وبعد أن عشت هذه الفترة مع آيات وصف النبي بالعبودية، آن للقلم أن يتوقف وأن أكشف عن أهم النتائج التي توصلت إليها وهي:

١ــ أ ن وصف الله عز وجل لنبيه بالعبودية في القرآن له دلالات متنوعة متكاملة منها :أنه تشريف وتقريب له بإضافة عبودية لله دلالة على أن مقام

العبودية لله هو أسمى مقام يدعى إليه بشر ويدعى به كذلك ،إذ لو كان هناك وصف أعظم منه لوصف الله به حبيبه ومصطفاه. وقد ذكر العلماء أنه لم يعبر الله تعالى عن أحد بالعبودية مضافا إلى ضمير الغيبة المشار به إلى الهوية إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يوصف أحد بالعبودية المطلقة إلا محمد صلى الله عليه وسلم فمع كل الأنبياء يأتي مع الوصف بالعبودية الاسم أو اللقب مثل قوله :(وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ)[209](اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ)[210] (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ)[211]

أما محمد صلى الله عليه وسلم فوصف بالعبودية المطلقة للدلالة على أن هذا الوصف إذا أطلق لا ينصرف إلا إليه

٢ــ و صف الله نبيه بالعبودية في مواطن مهمة تدل على مدى مكانته ومنزلته عند الله ،كما تدل على أهمية ما ذكر عقب هذا الوصف ،فقد وصف بالعبودية في مقام التحدي والمعجزة وفي مقام التشريف بالإسراء، وعند نزول القرآن عليه ،وعند الإيحاء إليه، وفي مقام الدعوة وفي مقام العجيب والتهديد والتحقير من ذلك الذي ينهاه عن الصلاة ،وكلها أمور عظيمة مهمة .

٣ــ اشتملت آيات وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالعبودية في القرآن الكريم على كثير من الفنون البلاغية واللطائف الأدبية ،موزعة على علوم البلاغة الثلاثة ،فنجد من علم المعاني:

التعريف بأل الجنسية في (الْكِتَابَ)،وبالضمير في :(هُوَ الَّذِي) ،وبالموصلية في:(الَّذِي أَسْرَىٰ)،(هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ)،(الَّذِي أَنزَلَ) ،(الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ) ،وبالإضافة في ،(يَوْمَ الْفُرْقَانِ)،(عَبْدَنَا)، (عَبْدِهِ) .

التنكير في:(رَيْبٍ)،(سُورَةٍ)،(لَيْلًا).

حذف العائد في :(نَزَّلْنَا)،(غَنِمْتُم) ،وحذف الفاعل في :(فَأَوْحَىٰ) ،وحذف جواب الشرط في :(إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) ،وحذف المنهي عنه في :(ينهى عَبْدًا)

وذكر اسم الله في:(فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ)، و (لَيْلًا)في :أسرى بعبده ليلا.

والتقديم والتأخير في:(أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا)،وفي:

(لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)،وفي (فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) ،وفي :(بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ)

والاستفهام التقريري في:(أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)،والتعجبي في:(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ).

والأمر للتهكم والتعجيز في :(فَأْتُوا بِسُورَةٍ) ،(وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم)والقصر في: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ،(الْحَمْدُ لِلَّهِ)،(هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ).

والالتفات من الغيبة في :(اعْبُدُوا) ،(فَلَا تَجْعَلُوا)،إلى التكلم في :(نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا)،وفي :أسرى إلي التكلم في ،(لِنُرِيَهُ) ،ومن التكلم في :(لِنُرِيَهُ) إلى الغيبة في:(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)،ومن الخطاب في :(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ)،إلى الغيبة في:(عَبْدًا)،ومن الغيبة في :(عَبْدًا) إلى الخطاب في (وَيُخَوِّفُونَكَ)

والوصل في :(وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ)،وفي (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم) (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا)،

والفصل في :(إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)،

والاعتراض في :(إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)، (وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا* قَيِّمًا)،

والتذييل في (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

وتأكيد الخبر في :(وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ).

ووضع المظهر موضع المضمر في :(قَامَ عَبْدُ اللَّهِ).

ونجد من علم البيان:

الاستعارة التصريحية في :(الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ).

والتشبيه في :(كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا).

والمجاز المرسل لعلاقة الجزئية في :(قَامَ عَبْدُ اللَّهِ) .

ونجد من علم البديع:

المبالغة في :(السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ، (رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) .

براعة الاستهلال في :(سُبْحَانَ الَّذِي)،(تَبَارَكَ الَّذِي)،(الْحَمْدُ لِلَّهِ) .إلى غير ذلك من الفنون البلاغية واللطائف الأدبية التي وردت في آيات وصف النبي بالعبودية وذكرها في البحث .

وأدعو الله أن يتقبل هذا العمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم

إنه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين ،وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المراجع

*الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة /الخطيب القزويني تح /د محمد عبد المنعم خفاجي ط دار الجيل بيروت لبنان الثالثة .

*تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري تح /احمد عبد الغفور عطا الرابعة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م

*تاج العروس من جواهر القاموس /الزبيدي ط دار الهداية

*تفسير الشعراوي /محمد متولي الشعراوي ط أخبار اليوم .

*تفسير التحرير والتنوير /الطاهر بن عاشور ط الدار التونسية تونس ١٩٨٤م

*التعريفات /الشريف الجرجاني ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

*التفسير الكبير للفخر الرازي ط دار الغد العربي الأولى سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

*تفسير الوسيط د/محمد سيد طنطاوي ط نهضة مصر الأولى ١٩٩٧م .

*تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ط دار الفكر

*تفسير البحر المحيط لأبي حيان ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان الأولى سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

*التفسير البلاغي للاستفهام في القران الكريم /د عبد العظيم المطعني ط مكتبة وهبة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

*تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)للبيضاوي تح /محمد عبد الرحمن المرعشلي ط دار إحياء التراث العربي بيروت .

*تفسير المنار تأليف /محمد رشيد رضا ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

*الجامع لأحكام القران (تفسير القرطبي)ط دار الريان للتراث .

*حاشية ابن المنير على تفسير الكشاف ط دار الفكر .

*روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني /الألوسي ط دار الفكر .

*صفوة التفاسير /محمد علي الصابوني ط مطابع الدوحة الحديثة قطر الثانية ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

*فيض القدير /شرح الجامع الصغير /زين الدين محمد ط المكتبة التجارية الكبرى مصر

الأولى ١٣٥٦هـ
*في ظلال القران /سيد قطب ط دار الشروق السادسة عشرة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م
*القاموس المحيط /الفيروز ابادي ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م
*الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل /الزمخشري ط دار الفكر
*الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية /أبي البقاء الحنفي تح /عدنان درويش ط مؤسسة الرسالة بيروت
*لسان العرب /ابن منظور ط دار صادر بيروت الأولى
*لباب التأويل في معاني التنزيل /الخازن تح /محمد علي شاهين ط دار الكتب العلمية بيروت
*اللباب في علوم الكتاب /ابن عادل تح/عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م
*المعجم المفهرس لألفاظ القران /محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الحديث القاهرة الأولى سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م
*مقاييس اللغة /ابن فارس تح /عبد السلام محمد هارون الناشر اتحاد الكتاب العرب سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م
*معجم لغة الفقهاء /محمد رواسي ط دار النفائس
*مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار /البزار ط مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة الأولى ٢٠٠٩م
*المعجم الأوسط /الطبراني ط دار الحرمين مصر
*المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز /ابن عطية تح/عبد السلام عبد الشافي الناشر دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٢٢هـ
*مدارك التنزيل وحقائق التأويل /النسفي تح/يوسف علي بدوي ط دار الكلم الطيب بيروت الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م
*نظم الدرر في تناسب الآيات والسور /البقاعي ط دار الكتاب الإسلامي القاهرة

الهوامش والإحالات

(١) سورة البقرة آية ٣٢
(٢) سورة الإسراء آية ١
(٣) سورة الفرقان آية ١
(٤) سورة الحديد آية ٩
(٥) سورة النجم آية ١٠
(٦) سورة الجن آية ١٩
(٧) ينظر مقاييس اللغة لابن فارس مادة(عبد)تحقيق عبد السلام محمد هارون الناشر اتحاد الكتاب العرب ط ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢مـ.
(٨) ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري مادة(عبد)تحقيق احمد عبد الغفور عطا ط الرابعة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧مـ.
(٩) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة (عبد)ط دار صادر بيروت الأولى.
(١٠) ينظر الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الحنفي فصل (العين)تحقيق عدنان درويش ط مؤسسة الرسالة بيروت .
(١١) (فصلت: ٤٦).
(١٢) ينظر مقاييس اللغة مادة (عبد) (العين)
(١٣) ينظر لسان العرب مادة (عبد)
(١٤) ينظر الكليات فصل (العين)
(١٥) ورد الحديث في فيض القدير جـ٣ص١٨٤ وشرح الأربعين النووية لعطية بن محمد سالم حديث رقم ١٠.
(١٦) ينظر لسان العرب مادة (عبد)وتاج العروس للزبيري مادة (عبد)ط دار الهداية
(١٧) (مريم : ٣٠)
(١٨) ينظر معجم لغة الفقهاء /محمد رواسي جـ١صـ٣٦١ط دار النفائس الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨مـ.
(١٩) ورد الحديث في مسند البزار جـ١٥ صـ ٣٩١ والمعجم الوجيز جـ١ صـ٣٦١ وفيض القدير حـ٦ صـ٣٣٩
(٢٠) ينظر كتاب التعريفات للشريف الجرجاني باب (العين)ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ مـ
(٢١) ينظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان جـ١ صـ٢٤٤ ط دار الكتب العلمية ببيروت لبنان الأولى سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٢٢) ينظر التفسير الكبير للفخر الرازي جـ١ صـ٥١٠ طـ دار الغد العربي الأول سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م وتفسير القرطبي جـ١ صـ١٩٩ طـ دار الريان للتراث.
(٢٣) ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي جـ١ صـ١٩٢ طـ دار الفكر وتفسير التحرير والتنوير لطاهر ابن عاشور طـ صـ٣٣٥ جـ الدار التونيسة للنشر تونس طـ ١٩٨٤
(٢٤) ينظر المرج السابق جـ١ صـ٣٣٦.
(٢٥) ينظر تفسير المنار تأليف محمد رشيد رضا جـ١ صـ ١٦٠ طـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م والتحرير والتنوير جـ١ صـ٣٣٦ .
(٢٦) ينظر التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي جـ١ صـ٧٥ طـ نهضة مصر الأولى ١٩٩٧.
(٢٧) ينظر البحر المحيط جـ١ صـ٢٤٣ وروح المعاني جـ١ صـ١٩٢.
(٢٨) ينظر روح المعاني جـ١ صـ١٩٢.
(٢٩) ينظر التحرير والتنوير جـ١ صـ٣٣٦والتفسير الوسيط جـ١ صـ٧٥.
(٣٠) (البقرة:٢).
(٣١) ينظر تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم جـ١ صـ٧٨ طـ دار الفكر والتفسير الوسيط جـ١ صـ ٧٥
(٣٢) ينظر روح المعاني جـ١ صـ١٩٢.
(٣٣) ينظر تفسير أبي السعود جـ١ صـ٧٧ وصـ٧٨ وروح المعاني جـ١ صـ١٩٢.
(٣٤) ينظر البحر المحيط جـ١ صـ٢٤٤ وتفسير النسفي جـ١ ص٦٤ـ.
(٣٥) ينظر تفسير أبي السعود جـ١ صـ٧٨ والتحرير والتنوير جـ١ صـ٣٣٦
(٣٦) ينظر البحر المحيط جـ١ صـ٢٤٤ وروح المعاني جـ صـ١٩٢.
(٣٧) (الفرقان: ٣٢).
(٣٨) (الأنعام: ٣٧).
(٣٩) (الإسراء: ٩٥).
(٤٠) ينظر روح المعاني جـ١ صـ١٩٣.
(٤١) ينظر البحر المحيط جـ١ صـ٢٤٥ ونظم الدر في تناسب الآيات والسور.للبقاعي جـ ١صـ ط ١٦١ ط دار الكتاب الإسلامي القاهرة..
(٤٢) ينظر البحر المحيط جـ١ ص٢٤٥ وروح المعاني جـ١ ص١٩٥
(٤٣) ينظر تفسير البيضاوي جـذ صـ٥٧وروح المعاني جـ١ ص١٩٣

(٤٤) ينظر البحر المحيط جـ١ صـ١٦٩ وتفسير القرطبي جـ١ صـ٢٣٢ ولوامع الأنوار البهية لشرح الدرة المضية محمد أحمد السفاريني الحنبلي ط مؤسسة الخافقين بدمش الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٣م.

(٤٥) ينظر في ظلال القرآن سيد قطب جـ١ ص٤٨ بتصرف جـ١ دار الشروق السادسة عشرة سـ ١٤١٠هـ ١٩٩٠م

(٤٦) ينظر التفسير الوسيط جـذ صـ٧٥

(٤٧) ينظر تفسير أبي السعود جـ١ ص٢٤٥.

(٤٨) ينظر تفسير أبي السعود جـ١ ص٧٨

(٤٩) ينظر التحرير والتنوير جـ١ صـ٣٣٦

(٥٠) ينظر الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري جـ١ ص٢٣٩ جـ١ دار الفكر

(٥١) ينظر البحر المحيط جـ١ ص٢٤٥ وروح المعاني جـ١ ص١٩٣

(٥٢) ينظر تفسير البيضاوي جـ١ صـ٥٧ والبحر المحيط جـ١ ص١٤٥ وروح المعاني جـ١ ص١٩٥

(٥٣) ينظر البحر المحيط جـ١ ص١٦٣ وروح المعاني جـ١ ص١٩٥ والتحرير والتنوير جـ١ صـ٣٣٨.

(٥٤) (الأنفال:٣١) .

(٥٥) ينظر تفسير أبي السعود جـ١ ص٧٨

(٥٦) ينظر البحر المحيط جـ١ ص٢٤٧

(٥٧) ينظر تعريفه وشرحه في الإيضاح جـ٣ صـ٩٧

(٥٨) ينظر البحر المحيط جـ١ ص٢٤٨

(٥٩) ينظر روح المعاني جـ١ ص١٩٥ والتحرير والتنوير جـ١ ص٣٣٩

(٦٠) ينظر روح المعاني جـ١ ص١٩٦

(٦١) ينظر تفسير أبي السعود جـ١ ص٨١وروح المعاني جـ١ ص١٩٦

(٦٢) ينظر نظم الدرر جـ١ ص بتصرف

(٦٣) ينظر الكشاف جـ١ صـ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٦٤) ينظر تفسير أبي السعود جـ١ صـ ٧٩.

(٦٥) ينظر روح المعاني جـ١ صـ١٩٦.

(٦٦) ينظر تفسير البيضاوي حـ ١صـ٥٨ وتفسير أبي السعود جـ١ صـ٧٨ والتحرير والتنوير جـ ١صـ٣٤١.

(٦٧) ينظر التحرير والتنوير جـ١ صـ٣٤١.
(٦٨) ينظر البحر المحيط جـ١ صـ٢٤٨ وروح المعاني جـ١ صـ١٩٧ والتحرير والتنوير حـ١ ص٣٤١ـ.
(٦٩) ينظر تعريفه وشواهده في الإيضاح في علوم البلاغة جـ١ صـ١٤٧، ١٤٨.
(٧٠) ينظر التحرير والتنوير جـ١٠ صـ٥.
(٧١) ينظر تفسير الفخر جـ٧ صـ٤٩٦ وتفسير المنار جـ١٠ صـ٤.
(٧٢) ينظر تفسير أبي السعود جـ٢ صـ٣٦٠ وروح المعاني جـ١٠ صـ٢٠.
(٧٣) ينظر البحر المحيط جـ٦ صـ١٤٦.
(٧٤) ينظر تفسير النسفي جـ١ صـ٦٤٠.
(٧٥) ينظر التحرير والتنوير جـ١٠ صـ٧.
(٧٦) ينظر تفسير أبي السعود جـ٢ صـ٣٦٠.
(٧٧) ينظر تفسير النسفي جـ١ صـ٦٤٥.
(٧٨) (التوبة: ٦٢).
(٧٩) ينظر تفسير أبي السعود جـ١ صـ٣٦٠ وروح المعاني جـ١ صـ٢.
(٨٠) ينظر تفسير المنار جـ١ صـ١٦.
(٨١) ينظر التحرير والتنوير جـ ١٠ صـ ٨.
(٨٢) ينظر التحرير والتنوير جـ١٠ صـ١٣ والتفسير الوسيط جـ٦ صـ١٠٠ .
(٨٣) ينظر التحرير والتنوير جـ١٠ صـ١٣ وتفسير الشعراوي جـ٨ صـ٤٧٠٧.
(٨٤) ينظر روح المعاني جـ١٠ صـ٥ وتفسير الخازن جـ٣ صـ١٩٤.
(٨٥) ينظر في ظلال القرآن جـ٣ صـ١٥٢١.
(٨٦) ينظر تفسير أبي السعود جـ٢ صـ٣٦٢ وروح المعاني جـ١٠ صـ٥ ونظم الدرر جـ٨ صـ٢٨٤.
(٨٧) ينظر التحرير والتنوير جـ١٠ صـ١٤.
(٨٨) ينظر التحرير والتنوير جـ١٠ صـ١٥.
(٨٩) ينظر نظم الدرر جـ٨ صـ٢٨٤.
(٩٠) ينظر التحرير والتنوير جـ١٠ صـ ١٥والتفسير الوسيط جـ٦ صـ١٠١.
(٩١) ينظر البحر المحيط جـ٦ صـ٤.
(٩٢) ينظر البحر المحيط جـ٦ صـ٥.
(٩٣) ينظر الكشاف جـ١ صـ٤٣٦ وتفسير النسفي جـ٢ صـ٢٤٤.
(٩٤) ينظر تفسير أبي السعود جـ٣ صـ ٣٠٧ وروح المعاني جـ١٥ صـ٣.

(٩٥) ينظر صفوة التفاسير جـ٢ صـ١٥٦.

(٩٦) (الصفات: ١٨٠).

(٩٧) (النور: ١٦).

(٩٨) ينظر التحري والتنوير جـ١٥ صـ١٠.

(٩٩) (يس: ٣٦).

(١٠٠) (الزخرف:١٧)

(١٠١) (الزخرف: ١٣).

(١٠٢) ينظر تفسير الشعراوي جـ١٣ صـ٨٣١١.

(١٠٣) ينظر تفسير أبي السعود جـ٣ صـ٣٠٩وروح المعاني جـ١٥ صـ٤ والتحرير والتنوير جـ١٥ صـ١٠.

(١٠٤) ينظر التحرير والتنوير جـ١٥ صـ١١

(١٠٥) ينظر المرجع السابق جـ١٥ صـ١١.

(١٠٦) (الطور: ٤٨).

(١٠٧) (التوبة: ٤٠).

(١٠٨) ينظر البحر المحيط جـ٦ صـ٦.

(١٠٩) ينظر نظم الدرر جـ١١ صـ٨٨٢.

(١١٠) ينظر تفسير أبي السعود جـ١ ص٣٠٧ وتفسر الفجر الرازي جـ١ ص٦ والبحر المحيط جـ١ ص٦

(١١١) ينظر روح المعاني جـ١٥ ص٤

(١١٢) ينظر تفسير الكشاف جـ١ ص٣٤٦ وحاشية ابن المنير جـ١ ص٤٣٦، ٤٣٧ وتفسير أبي السعود جـ٣ ص٣٠٧.

(١١٣) ينظر روح المعاني جـ١٥ ص٥

(١١٤) ينظر التحرير والتنوير جـ١٥ ص ١٤

(١١٥) ينظر تفسير البيضاوي جـ٣ ص٢٤٧

(١١٦) ينظر التحرير التنوير جـ١٥ ص ١٤

(١١٧) ينظر التحرير والتنوير جـ١٥ ص١٥

(١١٨) ينظر في ظلال القرآن جـ٦ ص٢٢١٢

(١١٩) ينظر التحرير والتنوير جـ ١٥ صـ ١٩.

(١٢٠) ينظر المرجع السابق جـ١٥ صـ٢٠.

(١٢١) ينظر روح المعاني جـ١٥ ص٦

(١٢٢) ينظر التحرير والتنوير جـ٨ ص
(١٢٣) ينظر روح المعاني جـ١٥ ص١٣
(١٢٤) ينظر روح المعاني جـ١٥ ١٣، ١٤ والتحرير والتوير جـ١٥ ص٢٢ .
(١٢٥) ينظر روح المعاني جـ ١٥ صـ١٤.
(١٢٦) ينظر تفسير أبي السعود جـ٣ صـ٣٠٩.
(١٢٧) ينظر التحرير والتنوير جـ ١٥ صـ٢٢
(١٢٨) ينظر التحرير والتنوير جـ ١٥ صـ ٢٢
(١٢٩) ينظر في ظلال القرآن جـ٦ صـ٢٢١٢ بتصرف.
(١٣٠) ينظر نظم الدرر جـ١٢ صـ٢.
(١٣١) ينظر المحرر الوجيز لابن عطية جـ٥ صـ ٢٨٥.
(١٣٢) ينظر الكشاف جـ١ صـ٤٧، ٤٨.
(١٣٣) ينظر تفسير أبي السعود جـ١ صـ١٤.
(١٣٤) ينظر التفسير الوسيط جـ ٨صـ٤٦٥.
(١٣٥) ينظر تفسير الفخر الرازي جـ٦ صـ٢٠٨، ٢٠٩ والتفسير الوسيط جـ٨ صـ٤٦٥.
(١٣٦) ينظر التفسير الوسيط جـ٨ صـ٤٦٥.
(١٣٧) ينظر تفسير الشعراوي جـ١٤ صـ٨٨٢٩، ٨٨٣ والتفسير الوسيط جـ٨ صـ٤٦٤، ٤٦٥
(١٣٨) ينظر تفسير أبي السعود جـ٣ صـ٣٥٨ والتحرير والتنوير جـ١٥صـ٤٢٦.
(١٣٩) ينظر التحرير والتنوير جـ١٥ صـ ٢٤٧
(١٤٠) (الكهف: ٦).
(١٤١) ينظر تفسير أبي السعود جـ٣ صـ ٣٥٨ ونظم الدرر جـ ١٢ صـ٣.
(١٤٢) ينظر تفسير أبي السعود جـ صـ٢٧، ٢٨ وجـ٣ صـ٣٥٨ بتصرف.
(١٤٣) ينظر القاموس المحيط فصل العين جـ١ صـ٢٣٦ ولسان العرب المادة نفسها .
(١٤٤) ينظر الكشاف جـ صـ وتفسير أبي السعود جـ٣ صـ٣٥٩١.
(١٤٥) ينظر التحرير والتنوير ج١٥ـ صـ٢٤٧ .
(١٤٦) ينظر المرجع السابق جـ١٥ صـ٢٤٧.
(١٤٧) ينظر البحر المحيط جـ٦ صـ٩٤.
(١٤٨) ينظر تفسير أبي السعود جـ٣ صـ٣٥٩
(١٤٩) ينظر تفسير الفخر جـ١٠ صـ٢٣٣.

(١٥٠) ينظر روح المعاني جـ١٨ صـ٢٣٠

(١٥١) ينظر تفسير أبي السعود جـ٤ صـ١١٧ و روح المعاني جـ١٨ صـ٢٣٠.

(١٥٢) ينظر تفسير الفخر جـ١١ صـ ٦٥٣ والبحر المحيط جـ٦صـ٤٤٠ وروح المعاني جـ١٨ صـ٢٣٢ والتحرير والتنوير جـ١٨ صـ٣١٦.

(١٥٣) ينظر في ظلال القرآن جـ٦ صـ٢٥٤٧ والتفسير الوسيط جـ١٠ صـ١٧٠

(١٥٤) ينظر التحرير والتنوير جـ ١٨صـ ٣١٧

(١٥٥) ينظر نظم الدر جـ١٣ صـ ٣٣١.

(١٥٦) ينظر تفسير ابن كثر جـ٢ صـ٩٢.

(١٥٧) ينظر تفسير أبي السعود جـ٤ صـ١١٨ و التحرير والتنوير جـ١٨صـ ٣١٧

(١٥٨) ينظر في ظلال القرآن جـ٦ صـ٢٥٤٨.

(١٥٩) ينظر تفسير الفخر جـ١٠ صـ٦٥٤.

(١٦٠) ينظر التحرير والتنوير جـ١٨ صـ٣١٧ .

(١٦١) ينظر نظم الدرر جـ١٣ صـ٣٣١.

(١٦٢) ينظر روح المعاني جـ١٨ صـ٢٣٢.

(١٦٣) ينظر تفسير اللباب لإبن عاد الدمشقي جـ١٢ صـ١٥٨.

(١٦٤) ينظر الكشاف جـ٣ صـ٣٩٨، ٣٩٩.

(١٦٥) ينظر نظم الدرر جـ١٥صـ٥١٠٢٥٥.

(١٦٦) ينظر تفسير الفخر جـ١٣ صـ٤٤٣ والبحر المحيط جـ٧ صـ٤١٣.

(١٦٧) وينظر تفسير أبي السعود جـ٤ صـ٤٧٠ وروح المعاني جـ٢٤صـ٥، ٦.

(١٦٨) ينظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم جـ٣ صـ٤٣٦.

(١٦٩) ينظر الكشاف جـ٣ صـ٣٩٩.

(١٧٠) ينظر التفسير البلاغي للإستفهام جـ٣ صـ٤٣٧.

(١٧١) ينظر البحر المحيط جـ٧ صـ ٤١٣ والتحرير والتنوير جـ٢٤ صـ١٣.

(١٧٢) ينظر التحرير والتنوير جـ ٢٤ص١١.

(١٧٣) ينظر التفسير البلاغي للاستفهام جـ٣ صـ٤٣٧ بتصرف.

(١٧٤) ينظر التحرير والتنوير جـ٢٤ ص١١ـ.

(١٧٥) ينظر التفسير البلاغي للاستفاهم جـ٣ صـ٤٣٧.

(١٧٦) الأعراف : ١٨٦.

(١٧٧) ينظر التحرير والتنوير جـ ٢٤صـ١٤.

(١٧٨) ينظر المرجع السابق جـ٢٤ صـ١٤.

(١٧٩) ينظر التحرير والتنوير جـ ٢٧صـ٩٨.
(١٨٠) ينظر نظم الدرر جـ ١٩ صـ٤٦.
(١٨١) ينظر المرجع السابق جـ١٩ صـ٤٧.
(١٨٢) ينظر الكشاف جـ٤صـ٢٩ وتفسير أبي السعود جـ٥ صـ٦٤٣ وروح المعاني جـ٢٧ صـ٢٩.
(١٨٣) (طه: ٧٨).
(١٨٤) (النجم:١٦).
(١٨٥) ينظر البحر المحيط جـ٨ صـ٢١٨ والتفسير الوسيط جـ ١٤صـ ٢٠٤.
(١٨٦) (الحديد: ٨).
(١٨٧) ينظر التحرير والتنوير جـ٢٧ ص٣٧١ــ.
(١٨٨) ينظر تفسير البضاوي جـ٥ صـ١٨٦.
(١٨٩) ينظر البحر المحيط جـ٨ صـ٢١٨.
(١٩٠) (سورة الطلاق: ١٠، ١١).
(١٩١) ينظر أضواء البيان جـ ٨ صـ١٤٦.
(١٩٢) ينظر نظم الدرر جـ٢٠ صـ٤٩٠.
(١٩٣) ينظر البحر المحيط جـ٨صـ٣٤٥.
(١٩٤) ينظر المحرر الوجيز جـ ٥صـ٣٨٤ والجواهر الحسان في تفسير القرآن جـ٤ صـ١٥٧.
(١٩٥) (سورة المعارج: ٣٦، ٣٧).
(١٩٦) ينظر تفسير النسفي جـ٣ صـ٥٥٢ والكشاف جـ٤ صـ١٧٠ وتفسير أبي السعود جـ٥ صـ٧٨٠.
(١٩٧) ينظر تفسير الفخر جـ١٥ ص٧٨١،٧٨٠ وفي ظلال القرآن جـ٦ ص٣٧٣٦
(١٩٨) ينظر الكشاف جـ٤ ص١٧٠ والفخر الرازي جـ١٥ ص٧٨١،٧٨٠ وتفسير أبي السعود جـ٥ ص٧٨٠
(١٩٩) ينظر روح المعاني جـ٢٩ ص١١٤
(٢٠٠) الجن أية ١٦ إلى ١٨
(٢٠١) ينظر الكشاف في جـ٤ ص١٧٠ وتفسير أبي السعود جـ٥ ص٧٨٠
(٢٠٢) ينظر تفسير الفخر الرازي جـ١٦ ص٥١٩،٥١٨ وتفسير البيضاوي جـ٥ ص٣٢٦
(٢٠٣) ينظر نظم البرر جـ٩ ص٤٧٢

(٢٠٤) ينظر تفسير أبي السعود جـ٥ ص٨٨٧

(٢٠٥) ينظر التحرير والتنوير جـ ٣٠ص٤٤٦

(٢٠٦) ينظر المصدر السابق جـ ٣٠ص٤٤٧

(٢٠٧) ينظر تفسير البيضاوي جـ٥ ص٣٢٦٤٠ وتفسير أبي السعود جـ٥ ص٨٨٧ والتحرير والتنوير جـ ٣٠ص٤٤٧

(٢٠٨) ينظر تفسير الفخر الرازي جـ١٦ ص٥١٨،٥١٩ بتصرف.

(٢٠٩) سورة ص آية ٤٥

(٢١٠) سورة قص آية ٣٠

(٢١١) سورة ص آية ٤١